رسائل أهل الإسلام في الدفاع عن خير الأنام

المراد بزواج التحليل

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٠٥ السنة الواحدة والخمسون - جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ

الثمن ٥ جنيهات

محمد
صلى الله عليه وسلم

تطاول الأقزام على خير الأنام

- تبًا لك يا أبرهة العصر
- النهي عن السخرية والاحتقار
- التربية الإيمانية في القرآن الكريم.. مناهجها وأهدافها

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ بينك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعاد لهما

السلام عليكم

بشرى وميلاد جديد

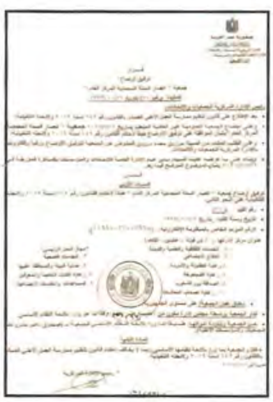

قال المصطفى البشير صلى الله عليه وسلم: «بشروا ولا تنفروا». وامتثالاً لهذا الأمر الجليل: فإننا نُبشّر أنفسنا واخواننا وعموم المسلمين بمنّة الله تعالى علينا في توفيق أوضاع البيت الكبير لدعوة التوحيد، وهو المركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بمصر.

فقد تم بحمد الله توفيق أوضاع المركز العام على قانون ١٤٩ لسنة ٢٠١٩م بتاريخ ٢٠٢١/١١/٢٢م لسنة ٢٠٢١م.

فالحمد لله حتى يرضى، وله الحمد بعد الرضا، وله الحمد أبدًا أبدًا.

وأما الميلاد الجديد: فهي جمعيتنا المباركة في ثوبها القشيب الجديد، مع أصالتها العلمية الدعوية التربوية المعروفة المعهودة.

مَوْلدٌ جديدٌ مع صلاحيات جديدة، وآفاق واسعة عديدة، تعاون على طرحها علماؤنا وأولياء أمورنا.

صلاحيات واسعة تتيح لنا خدمة بلادنا الحبيبة، وتضع أيدينا في يد كل من يسعى إلى خير وسعادة وأمان هذا البلد العريق، نتمنى من الله تعالى أن يُسخّر جهودنا جميعًا لخدمة البلاد والعباد، وأن يكون ذلك سببًا لرضا الله تعالى والوصول إلى جنات النعيم.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

فهرس العدد

آيات التسبيح في القرآن الكريم — د. عبد الله شاكر — ٢
باب التفسير — د. عبد العظيم بدوي — ٥
خطورة الغياب عن إصلاح الشباب — د. عماد محمد علي عيسى — ٨
شفاك الله وعافاك — الشيخ عبده أحمد الأقرع — ١١
الأنكحة المحرمة — د. عزة محمد رشاد — ١٤
باب السنة — د. مرزوق محمد مرزوق — ١٧
رسائل أهل الإسلام في الدفاع عن خير الأنام — د. مرزوق محمد مرزوق — ٢٠
غزوة بدر — د. سيد عبد العال — ٢١
تبًا لك يا أبرهة العصر — الشيخ معاوية محمد هيكل — ٢٤
نظرات في زواج التحليل — د. محمد عبد العزيز — ٢٨
التربية الإيمانية في القرآن الكريم — د. عبد الوارث عثمان — ٣٢
واحة التوحيد — علاء خضر — ٣٦
دراسات شرعية — د. متولي البراجيلي — ٣٨
صلاح الحال وراحة البال — الشيخ صلاح عبد الخالق — ٤١
عناية المفسرين بكلمة التوحيد — الشيخ حسين إسماعيل الجمل — ٤٤
تطاول الأقزام على خير الأنام — محمد محمود فتحي — ٤٦
المنهج النبوي في تزكية نفوس الشباب — د. جمال عبد الرحمن — ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية — الشيخ علي حشيش — ٥٣
نماذج تحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة — د. محمد عبد العليم الدسوقي — ٥٧
القرآن منهج وعمل (٢) — د. عادل بن يوسف العزازي — ٦١
دراسات قرآنية — الشيخ مصطفى البصراتي — ٦٤
شهر جماد أول: أحداث وتاريخ — الشيخ أحمد عز الدين — ٦٨
باب الفقه — د. حمدي طه — ٧٠

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

٩٢٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

آيات التسبيح في القرآن الكريم

الرئيس العام د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين.

وبعد: فلقد ورد ذكر التسبيح في القرآن الكريم على صيَغ مختلفة وأساليب متنوعة، فقد جاء بصيغة الأمر، كما في قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» (الأحزاب: ٤١-٤٢). في الصباح والمساء. (انظر: تفسير البغوي ج٣/٥٣٤).

وللشيخ السعدي رحمه الله كلام جميل حول هاتين الآيتين، يقول فيه: "أمر الله تعالى المؤمنين بذكره ذكرًا كثيرًا، من تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك: أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب، وينبغي مداومة ذلك في جميع الأوقات على جميع الأحوال". (تفسير السعدي، ج٦/٢٣٩).

كما جاء التسبيح بلفظ المضارع، كما في قوله تعالى: «يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ» (الجمعة:١). كما ورد بلفظ المصدر، كما في قوله تعالى: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الإسراء: ١).

وقد تكرر ذكر التسبيح في القرآن الكريم بلفظ المصدر، وهو يدل على تنزيه الله سبحانه وتعالى وبراءته من كل نقص، وأنه يَفعل ما يريد، ويَحكم بما يشاء، وقد دلت آية الإسراء على ذلك، ومن هنا ذكره الله تعالى ردًا على المشركين الذين نسبوا الولد إليه سبحانه وتعالى، فقال: «وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ» (البقرة: ١١٦). ونسبة الولد إلى الله جُرم عظيم وهو لا يليق بجلاله وكماله، ولذلك نزَّه نفسه عنه، قال ابن كثير رحمه الله: «اشتملت هذه الآية الكريمة والتي تليها على الرد على النصارى- عليهم لعائن الله-، وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب، ممن جعل الملائكة بنات الله،

فأكذب الله جميعهم، في دعواهم وقولهم: إن لله ولدًا، فقال تعالى: «سبحانه» أي: تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًا كبيرًا، بل له ما في السماوات والأرض، أي: ليس الأمر كما افتروا، وإنما له ملك السماوات والأرض ومن فيهن، وهو المتصرف فيهم، وهو خالقهم ورازقهم، ومقدِّرهم ومسخِّرهم ومصرِّفهم كما يشاء، والجميع عبيدٌ له وملك له، فكيف يكون له ولد منهم، والولد إنما يكون متولدًا من شيئين متناسبين وهو-تبارك وتعالى- ليس له نظيرٌ، ولا مشارك في عظمته وكبريائه، ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد؟ كما قال تعالى: « بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (الأنعام: ١٠١). (تفسير ابن كثير ج١/٢٣١، ٢٣٢).

وهذا كلام دقيق من الإمام الحافظ ابن كثير، ويدل دلالة واضحة على أن التسبيح يعني تعظيم الله وتقديسه، ونفي جميع صفات النقص وما لا يليق به سبحانه وتعالى، وعلى أهل الإيمان أن يعرفوا ذلك ويتعلموه ويعتقدوه، ويعبدوا ربهم به.

وقد ذكر الفيروز أبادي رحمه الله أن التسبيح ورد في القرآن الكريم على نحو من ثلاثين وجهًا، ستة منها للملائكة، وتسعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأربعة لغيره من الأنبياء، وثلاثة للحيوانات والجمادات، وثلاثة للمؤمنين خاصة، وستة لجميع الموجودات. (انظر: بصائر ذوي التمييز، ج٩/٨٥).

وإليك أيها القارئ الكريم بعضًا من الآيات الدالة على هذه الأوجه، ومع بيان ما تضمنته من تعظيم وتقديس لله تبارك وتعالى، فما ورد من تسبيح الملائكة، قوله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ » (غافر: ٧).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: يقول تعالى ذكره في هذه الآية: الذين يحملون عرش الله من ملائكته ومن حول عرشه ممن يحف به من الملائكة (يسبحون بحمد ربهم)، يصلون لربهم بحمده وشكره (ويؤمنون به) ويقرون بالله أنه لا إله لهم سواه ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته (ويستغفرون للذين آمنوا)، ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقروا بمثل إقرارهم من توحيد الله والبراءة من كل معبود سواه. (تفسير ابن جرير ج٢٢/٢٩).

ومما ورد أيضًا في تسبيح الملائكة ما ذكره الله عنهم من قوله: « وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ » (الصافات: ١٦٥- ١٦٦).

وقد دلت الآيتان على أن الملائكة تصطف لله في مواطن الطاعة، وينزهون الله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به، ومما ورد في تسبيح نبينا صلوات الله وسلامه عليه، ما جاء في قوله: « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ » (الحجر: ٩٧، ٩٨).

والآية الأولى بيّنت حال النبي صلى الله عليه وسلم أن يواجه ما يقع له بالتسبيح والسجود، وأن ذلك يشرح صدره ويذهب غمه.

قال السعدي رحمه الله: (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) لك من التكذيب والاستهزاء، فنحن قادرون على استئصالهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقونه، ولكن الله يمهلهم ولا يهملهم؛ وأنت يا محمد سبّح بحمد ربك وكن من الساجدين، أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة؛ فإن ذلك يوسّع الصدر ويشرحه، ويعينك على أمورك». (تفسير السعدي، ج٤/١٨٠).

وبعد امتنان الله تبارك وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم، بفتح مكة

ودخول الناس في دين الله أفواجًا، أمره ربه بالتسبيح والاستغفار، كما جاء في قوله: «إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ① وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ② فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا» (النصر: ١-٣).

وقد استجاب النبي صلى الله عليه وسلم لأمر ربه بالتسبيح والاستغفار في كل صلاة بعد نزول هذه الآية. وقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي». (البخاري: ٤٩٦٧).

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ مِن قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إلَيْهِ قالَتْ: فَقُلتُ يا رَسولَ اللهِ، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِن قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إلَيْهِ؟ فَقالَ: خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً في أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِن قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إلَيْهِ، فقَدْ رَأَيْتُهَا «إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ» (النصر:١)، فَتْحُ مَكَّةَ، «وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ② فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا» (النصر:٢-٣).. (مسلم: ٤٨٤).

وقد دل الحديث على أن العبد إذا كثرت نعم الله وعطاياه عليه أن يقابلها بكثرة العبادة، وعلى رأسها التسبيح والاستغفار لأمر الملك الغفار لنبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا لإظهار نعمة الله عليه، وإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزلته، وغير ذلك من المقاصد الحسنة، لا المفاخرة والمباهاة". (فتح الباري، ج٨/٧٣٦).

فإن قيل: لماذا جاء الأمر بالاستغفار هنا مع التسبيح، والاستغفار يكون عن ذنب؟ وأجيب: بأن الاستغفار نفسه عبادة كالتسبيح، فلا يلزم منه وجود ذنب.

وقيل: هو تعليم لأمته صلى الله عليه وسلم، وقيل: رفع لدرجاته صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في السنة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «توبوا إلى الله؛ فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة». فيكون أيضًا من باب الاستكثار من الخير، والإنابة إلى الله. (انظر: تتمة أضواء البيان ج٩/٥٩٦).

ومما ورد في شأن الأنبياء قوله تعالى لزكريا عليه السلام: «قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ» (آل عمران: ٤١)، وكان زكريا عليه السلام سأل ربه الذرية فأجاب الله دعاءه، ثم أمره بذكره كثيرًا، وتسبيحه بالعشي، وهو آخر النهار، ويقع أيضًا على ما بين الزوال والغروب، والإبكار وهو من طلوع الفجر إلى وقت الضحى، قال السيوطي في الإكليل: «في الآية الحث على ذكر الله تعالى وهو من شعب الإيمان». قال محمد بن كعب: لو رخص الله لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا؛ لأنه منعه من الكلام وأمره بالذكر». (انظر: تفسير القاسمي ج٤/٨٤٠).

وقد أوصى زكريا عليه السلام قومه بالمحافظة على التسبيح، كما قال تعالى: «فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا» (مريم: ١١)، وقد أخبر الله في كتابه أن يونس عليه السلام كان من المسبحين، وأن ذلك كان سببًا في نجاته، قال تعالى: «فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ⑭③ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ» (الصافات: ١٤٣-١٤٤). وهذه الآية تدل على فضل المداومة على التسبيح، وأن الله يدفع به عن العبد الشرور؛ فتسبيح يونس عليه السلام لربه ومولاه في بطن الحوت كان سببًا في إنجائه، وإلا كان بطن الحوت مقبرته إلى يوم الدين. أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المسبحين، وأن ينجينا به في الدنيا وفي يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ العَنكَبُوت

الحلقة الثامنة

قال الله تعالى:

« خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ
مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا
وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ »

(العنكبوت: ٤٤-٤٦)

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الحث على التأمل في خلق السموات والأرض:

قَالَ تعَالى: « خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ »:

« خَلَقَ الله السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ » وللحق، « وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ » (المؤمنون٧١)، فلذلك لا يَترُكُ الله الباطلَ يَعْلو أبدًا، بَلْ لا بُدَّ مِنْ إزْهاقه، ولا بُدَّ من إبْطاله، لتَصْلح الأرْض للنَّاس، ولذلك قال تعالى: « وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاس بَعْضَهُم بِبَعْض لَفَسَدَت الأرْضُ وَلَكنَّ الله ذو فَضْل عَلى العَالمينَ ٢٥١ » (البقرة: ٢٥١)، وبَيَّنَ سُبْحَانه أنَّ من حكْمة القتَال يَوْم بَدْر إحْقاق الحَقّ وإبْطال البَاطل، قَال تعَالى: « وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ » (الأنفال: ٨).

« إنَّ في ذلك لآيَة للْمُؤْمنين ٤٤ » خصَّ الله المؤمنين بآيَات السَّمَاوات والأرْض- مع كَوْنهما آيَةً لكل النَّاظرين- لأنَّ المُؤْمنينَ هُمُ الَّذين يَتفَكَّرُون في خلْق السَّمَاوَات وَالأرْض، وَيسْتَدلُون بإحْكام خلْقهمَا على قُدرَة خَالقهمَا وَعلْمه وَحكْمته فيُؤْمنُون به، كمَا قال تعالى: « إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ » (آل عمران: ١٩١)، أمَّا غيْرُ المُؤْمنينَ فهُمْ كمَا قَال تعَالى: « وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ » (يوسف: ١٠٥)، فهُمْ لا يَتَفَكَّرُون ولا يَعْقلُون وَلا يُؤْمنُون.

الأمْرُ بتلاوة القرآن الكريم:

« اتْلُ مَا أُوحيَ إليْكَ من الكتَاب وأقم الصَّلاةَ إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَن الفَحْشَاء وَالمُنكَر وَلَذكْرُ الله أكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ »:

يَأْمُرُ الله تَعَالى رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم-وَأمَّتُهُ تَبَعٌ

لَهُ- بتلاوة القرآن، ليكون لَهُمْ فيه الهداية والطمأنينة، وَالأنس والسَّعادة، والتَّسلية عمَّا يلقونه من المشركين من الأذى والاضطهاد، فإنَّ الله تعالى قال لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: « وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ » (هود: ١٢٠)، وَقال سُبحانه: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُس من رَبِّك بالحق ليُثَبِّتَ الَّذينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشرى للمُسْلمينَ ١٠٢» (النحل)، فتلاوة القرآن من أعظم أسباب الثَّبات على الإيمان.

من فضائل إقام الصَّلاة:

ثُمَّ أَمَرَ الله تعالى بإقام الصَّلاة، لأنَّ الصَّلاة من أعظم مَا يُعينُ على دين الله، كما قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ » (البقرة)، ولذلك كانَ صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى.(صحيح سنن أبي داود:١١٧١)

ثُمَّ ذَكَرَ الله تعالى فائدةً من الفوائد الَّتي تعودُ على المؤمنين من الصَّلاة فقال: «إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنكر»:

وَالفَحْشاءُ: كُلُّ مَا اسْتُعْظِمَ وَاسْتُفْحِشَ من المَعاصي الَّتي تَشْتَهيها النُّفوسُ.

وَالمُنْكَرُ: كل مَعْصيَة تُنْكرُها العُقُول وَالفطَرُ.

وَوَجْهُ كَوْن الصَّلاة تَنْهَى عَن الفَحْشاء وَالمُنكر، أنَّ العَبْدَ المُقيمَ لَها،المُتَمِّمَ لأركانها وَشُرُوطِها وَخُشوعها، يَستنيرُ قَلْبُه، وَيتطهَّرُ فؤادُه، وَيزدادُ إيمانُه، وتقوى رَغْبتُه في الخَيْر،وتَقلُّ أَوْ تَعْدَمُ رَغْبَتُهُ في الشَّرِّ. فبالضَّرورة، مُداومتُها وَالمُحافظة عليها على هذا الوَجْه، تَنْهَى عَن الفَحْشاء وَالمُنكر. فهذا مِنْ أعظم مَقاصدها وَثمراتها.(تيسير الكريم الرحمن ٦/٩١).

عَنْ أبى هُرَيْرَةَ رضِي الله عنه قالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: إنَّ فُلانًا يُصلى بالليل فإذا أَصْبَحَ سَرَقَ! قال: ((إنَّهُ سَيَنْهاهُ مَا يَقُول)). (مسند أحمد ٩٧٧٨).

وَالآيَةُ مَعَ هَذا الحَديث يَدُلان عَلَى ضَعْف مَا رُوِيَ في تَفْسير هَذه الآية من أَحاديث، منها: (مَنْ لم تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الفَحْشاء وَالمُنكر، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ الله إلا بُعْدًا). وَ(مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُه عَنِ الفَحْشاء وَالمُنْكر، فَلا صَلاةَ لَهُ). (قال الألباني: باطل، وهو مع اشتهاره على الألسنة لا يصح من قبل إسناده، ولا من جهة متنه. السلسلة الضعيفة:١/١٤-٢/١٧).

المَقْصودُ الأَعْظَمُ من إقام الصَّلاة ذكرُ الله:

وَقَوْلُهُ تَعالَى: «وَلَذكْرُ الله أَكْبَرُ»:

قَالَ العُلَماءُ: ذَكَرَ الله تَعالى أَنَّ من مَقاصد الصَّلاة الانْتهاءَ عَن الفَحْشاء وَالمُنْكر، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ المَقْصُودَ الأَكْبَرَ هُوَ ذكْرُ الله، كَمَا قَالَ تَعالَى لموسى عليه السلام: « إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ » (طه:١٤)، وَعابَ سُبْحانَهُ عَلى المُنافقين غَفْلَتَهُمْ عَن الذكر في الصَّلاة، فَقال: « إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا » (النساء:١٤٢).

«وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ٤٥» يَعْني وَسَيَجْزيكُمْ بِه، «إنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفسكُمْ وَإنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» (الإسراء)، « فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ » (آل عمران:١٧٩).

« وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ » (العنكبوت:٤٦-٥٢):

أدب الجدال:

الجدالُ هُوَ مُقاوَمَةُ الحُجَّة بالحُجَّة، وَهُوَ أُسْلُوبٌ منْ أَساليب الدَّعوَة، يَلْجأ إليه الدَّاعيَةُ مُضطرًا، ليُحقَّ الحَق

وَيُبْطِل البَاطِل. قَالَ تَعَالَى: «ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ» (النحل١٢٥).

قَالَ الرَّازِيُّ عَفَا الله عَنْهُ: أَهْلُ العِلْم ثَلَاثُ طَوَائِف:

الكَامِلُونَ الطَّالِبُونَ لِلْمَعَارِف الحَقِيقِيَّة وَالعُلُوم اليَقِينِيَّة، وَالمُكَالَمَةُ مَعَ هَؤُلَاء لا تَمْكِنُ إلَّا بالدَّلَائِل القَطْعِيَّة اليَقِينِيَّة وَهِيَ الحِكْمَةُ.

وَالقِسْمُ الثَّانِي: الَّذِي تَغْلِبُ عَلَى طِبَاعِهِمُ المُشَاغَبَةُ وَالمُخَاصَمَةُ لَا طَلَبُ المَعْرِفَة الحَقِيقِيَّة وَالعُلُوم اليَقِينِيَّة، وَالمُكَالَمَةُ اللَّائِقَةُ بِهَؤُلَاء المُجَادَلَةُ الَّتِي تُفِيدُ الإفْحَامَ وَالإلْزَامَ. وَهَذَانِ القِسْمَانِ هُمَا الطَّرَفَان. فَالأَوَّلُ: هُوَ طَرَفُ الكَمَال، وَالثَّانِي: طَرَفُ النُّقْصَان.

وَأَمَّا القِسْمُ الثَّالِثُ: فَهُوَ الوَاسِطَةُ، وَهُمُ الَّذِينَ مَا بَلَغُوا فِي الكَمَال إلَى حَدِّ الحُكَمَاء المُحَقِّقِينَ، وَفِي النُّقْصَان وَالرَّذَالَة إلَى حَدِّ المُشَاغِبِينَ المُخَاصِمِينَ، بَلْ هُمْ أَقْوَامٌ بَقُوا عَلَى الفِطْرَة الأَصْلِيَّة وَالسَّلَامَة الخِلْقِيَّة، وَمَا بَلَغُوا إلَى دَرَجَة الاسْتِعْدَاد لِفَهْم الدَّلَائِل اليَقِينِيَّة وَالمَعَارِف الحِكْمِيَّة، وَالمُكَالَمَةُ مَعَ هَؤُلَاء لَا تَمَكُّنَ إلَّا بِالمَوْعِظَة الحَسَنَة، وَأَدْنَاهَا المُجَادَلَةُ. التفسير الكبير (٢٠/ ٢٨٧).

فَلَا مَانِعَ مِنَ الجِدَال مِنْ أَجْل الدَّعْوَة وَإِقَامَة الحُجَّة، وَلَكِنْ «بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» كَمَا قَالَ تَعَالَى، وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَابِلَ المُسْلِمُ خُشُونَةَ الطَّرَف الآخَر بِاللِّين، وَأَنْ يُقَابِلَ عُبُوسَهُ بِالبَشَاشَة، وَأَنْ يُقَابِلَ قَسْوَتَهُ بِالرَّحْمَة، وَأَنْ يُقَابِلَ ثَوْرَتَهُ بِالهُدُوء، وَأَنْ يُقَابِلَ كَلِمَتَهُ النَّابِيَةَ بِالكَلِمَة اللَّيِّنَة. وَهَذَا هُوَ مَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَدْ أَرْسَلَهُمَا إلَى فِرْعَوْنَ، فَقَالَ: «ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ» (طهك٤٣-٤٤).

وَإِذَا كَانَتْ هَذِه آدَابَ الجِدَال مَعَ أَهْل الكِتَاب، فَالمُسْلِمُونَ بِهَا أَوْلَى، فَلَا يَلِيقُ بِالمُسْلِم وَهُوَ يُجَادِلُ أَخَاهُ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْه، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَسُبَّهُ وَيَشْتُمَهُ وَيَتَّهِمَهُ، بَلْ يَلْتَزِمُ الهُدُوءَ وَالرِّفْقَ وَاللِّينَ وَعُمُومَ الأَدَب.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» فَأَفْحَشُوا القَوْلَ، أَوْ سَبُّوكُمْ وَاعْتَدَوْا عَلَيْكُمْ، فَلَكُمْ أَنْ تَنْتَصِرُوا مِنْهُمْ، وَتَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ بِمِثْل مَا اعْتَدَوْا عَلَيْكُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا» (النساء)، وَقَالَ تَعَالَى: «ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ» (البقرة:١٩٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ٤٦».

هَذَا أَيْضًا مِنْ أَدَب الجِدَال وَالمُنَاظَرَة، أَنْ يَعْتَرِفَ المُجَادِلُ لِنَظِيرِه بِالحَقِّ الَّذِي مَعَهُ، وَأَنْ لَا يَرُدَّ مَا مَعَهُ مِنَ الحَقِّ مِنْ أَجْل مَا مَعَهُ مِنَ البَاطِل، فَلَيْسَ هَذَا مِنَ العَدْل وَالإنْصَاف، بَل تَقْبَلُ الحَقَّ وَتَرُدُّ البَاطِلَ.

فَإِذَا جَادَلَ المُسْلِمُونَ أَهْلَ الكِتَاب قَالُوا لَهُمْ مَا ذَكَرَ اللَّه: آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنَ القُرْآن الكَرِيم، وَآمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنَ التَّوْرَاة وَالإنْجِيل، فَكُلٌّ مِنْ عِنْد اللَّه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ» (آل عمران). فَإِذَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، فَلِمَاذَا لَا تُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا؟! وَإِذَا آمَنَّا بِمُوسَى وَعِيسَى فَلِمَاذَا لَا تُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّد؟! وَكُلُّ دَاعٍ لَكُمْ إِلَى الإيمَان بِمُوسَى وَعِيسَى مُتَوَفِّرٌ وَأَكْثَرُ مِنْهُ فِي حَقِّ مُحَمَّد، وَكُلُّ دَاعٍ لَكُمْ إِلَى الإيمَان بِالتَّوْرَاة وَالإنْجِيل مُتَوَفِّرٌ وَأَكْثَرُ مِنْهُ فِي حَقِّ القُرْآن.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» فِيه تَعْرِيضٌ بِالفَرِيقَيْن حَيْثُ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّه، وَهَذَا أَيْضًا أَدَبٌ مِنْ أَدَب الحِوَار وَالمُنَاظَرَة، أَنْ لَا يُوَاجِهَ المُجَادِلُ الطَّرَفَ الآخَرَ بِمَا عَلَيْه مِنَ البَاطِل، وَلَا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ العَذَاب، فَفِي التَّعْرِيض مَنْدُوحَةٌ عَنِ التَّصْرِيح، وَهَذَا كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَقَدْ أَرْسَلَهُمَا إِلَى فِرْعَوْنَ: «فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ» (طه:٤٨).

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

خطورة الغياب عن إصلاح الشباب (٣)

الأُسوة في بُلوغ الصّحابة تَمام القدوة

إعداد **د. عماد محمد علي عيسى**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

بلوغ الصحابة الذروة في تحقيق القدوة:

لقد بلغ الصحابة في القدوة تمام الإصابة، وحققوا منها أعلى درجاتها بما أبدوا من قوة الاستجابة؛ إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم قد قدَّم إليهم في نفْسه الشَريفة، وفي شخصيَّته الفَريدةِ المَنيفَة، وأخلاقه البديعة، وآدابه المنيعة أُنموذجًا لم ترَ مثله عينٌ قطّ ولم تسمع بمثْله أُذُن من قبل ولا من بعدُ، وقد كان النبي صَلى الله عليه وسلم قد أعلمه الله تعالى أنَّ هذه مُهمَّته وتلك رسالته وأمانته فقام بها على أكمل وجه ونزلت الآيات الناصرة والحُجَج البَاهرة والبيِّنات القاهرة وأيَده سبحانه وتعالى بالمعجزات الظاهرة حتى صار أعظم، وأجمل مُرَبٍّ، وأكمل مُؤدِّب، وأكرم وأفضل معلم.

ولذا قال الله تعالى له في جانب العلم "وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا" وقال له في شأن التربية والتعليم والقدوة: " كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ" (البقرة: ١٥١).

وقال تعالى أيضًا: " رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ" (البقرة: ١٢٩)، وامتن الله على المؤمنين ببعثته لاشتمالها على العلم والتزكية والتأديب والتربية فقال: " لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" (آل عمران: ١٦٤)، وقال أيضًا: " هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" (الجمعة: ٢).

وفي هجرة الصحابة إلى الحبشة أظهر بعض الصحابة عناية المسلمين بالقدوة، قَال جَعْفَرُ بْنُ أبي طَالب: أَيُّهَا المَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّة نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، " فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ

الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام"، قال: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا" (رواه أحمد: ١٧٤٠).

ومن تأمل في سير الصحابة رضي الله عنهم، ظهر له في شأن القدوة وجه الحق، وبدا له صواب الرأي، فإنه يجد نقلتهم من أحوال الجاهلية إلى أحوال الإسلام العلية بسبب أمر القدوة فإن العادات كانت قد حكمتهم وغلبت عليهم، ثم لما رأوا القدوة المصطفوية، والأسوة النبوية، وعاشوها وامتلأت بها نفوسهم، وأشربتها قلوبهم، وجرت في عروقهم، وسرت في عقولهم حتى إذا اختلطت بها أفكارهم، وامتزجت بها حياتهم؛ تخلوا عما كانوا عليه في الجاهلية، وخلعوا لباس العادات الدنية، واقتلعوا شجرة التقاليد الردية، وحملوا لواء الرسالة المحمدية، وأحبوا الدين حبًا شديدًا، وصار الاقتداء برسول الله قضية الحياة، وهدف الصحابة الهداة.

ومما يشير إلى أن القدوة باتت عند الصحابة أمرًا مهمًا، بل صارت ملازمة لهم ما رواه أبوداود (٦٥٠) عن أبي سعيد الخدري، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته، قال: «ما حملكم على إلقاء نعالكم» ، قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن جبريل صلى الله عليه وسلم أتاني فأخبرني أن فيهما قذرًا" الحديث. وبهذا الاقتداء المطلق، والاتباع المحض، والتأسي المجرد، كان المخرج لهم من الظلمات إلى النور، وطوق النجاة من حياة الشهوات والغرور.

تسهيل وتيسير القدوة:

كان من حكمة الله تعالى في خلقه البالغة، وحجته بين عباده الدامغة أن يكون الرسل من البشر فأرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين، ولم يجعلهم من الملائكة المطهرين، ولا السفرة الكرام البررة المقربين، ولا الجن القادرين المتمردين، وإنما جعلهم من البشر الذين يأكلون الطعام ويشربون، ويعيشون بين الناس ويمشون، ويتناكحون ويتناسلون، "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا " (الفرقان: ٢٠).

ولهذا لما سأل المشركون تحقيق بعض الخوارق تعجيزًا للنبي صلى الله عليه وسلم كان الجواب عليهم أنه بشر من البشر لكنه رسول من رب العالمين، ولو كان في الأرض ملائكة لكان الرسول من جنسهم فلا بد أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم حتى تسهل القدوة وتتيسر الأسوة، ولما طلب المشركون بعض المعجزات من النبي صلى الله عليه وسلم أجابهم عليه الصلاة والسلام بأنه بشر رسول، قال تعالى: "قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا " (الإسراء: ٩٥).

فوائد القدوة:

أولاً: تخفيف وعلاج الداء:

اعترض قوم من أهل زماننا على قيمة القدوة فهونوا من شأنها، وقللوا من فضلها، وقد لغا في ذلك قوم وهجروا، واتبعوا أفهامًا كليلة، ونظروا بأبصار عليلة، وأعملوا أنظارًا مدخولة، وفكروا أفكارًا معلولة، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وعدلوا به عن سبله ليفسدوا على العامة دينهم ويشتتوا أفكارهم، وقدحوا بالشكوك في الصدور، واعترضوا بالشبه على القلوب، فأمالوا عن

سبل الهداية قوما أغمارًا، وأحالوا عن طرق الاستقامة أحداثا أغرارًا.

أما تخفيف الداء وعلاجه: فإنَه بالقدوة نعالِج آفات أهل الزمان، لأنها تُوجب اليقِين، وتوضِح الُحقَ المبِين، وتفتِح للعبد آفاقًا، وتصلح منه أعمالًا وأخلاقًا، وتِزرع في قلبه للخير حنينًا وتغرس فيه إشفاقًا، وتضيء له الطريق وتجعل في جانبيه شفوفًا وإشراقًا.

ثانيًا: تقريب زوال البلاء:

أما تقريب أجل البلاء: فإنه الأيام التي نعيشها غلبت عليها الصعوبة في كل صغير وكبير ودقيق وجليل، لا سيما الأخلاق الحسنة التي صار التعلق بها والتمسح بأهلها والتعلق بأهدابِها من عزائِم الأمور، حتى نُبذت الخلائقُ الرضيَة، وأبُعدت الآدابُ الشرعية، وغلبت الطباع الفاسدة غير المرضية، بِدليل أنه قد جهل المعروف، وماتت العزائم، وضُيعت الْخَواطر، وذهبت من النفوس الهمم، وخَربت الذمم، وأصبح الفهم بلا أذن واحدة بعدما كان بأذنين، وعاد الجواب من غير لسان بعدما كان ذا لسانين.

وكذلك تَمهيد طريق الجلاء: والمراد به جِلاء ذميم الأخلاق، واسترِجاع حميدها الذي فُقد مع مرور الأيام، ومَلح بعدما عذُب بتعاقب الأعصر والأعوام، ذهبت آثارها إلى الضياع، وتفرقت في سائر البقاع لما أصابها من التغيير والتبديل، والإفساد والتعليل.

فقدان الأسوة مصيبة وحرمان وخذلان:

إذا فقد المرء الأسوة الحسنة ولم يجد من يتأسى به إلا من كان من أهل المعصية الذين خرجوا عن الجادة وتركوا سواء الصراط أحس بالغربة ووقعت في نفسه وحشة لا يزيلها إلا أن يتأسى بالنبي وأصحابه، وأصابته فاقة لا يسدها إلا النظر في سير الأولين.

وهذا الشعور هو ما عبر عنه كعب بن مالك رضي الله عنه في تخلفه عن غزوة تبوك بقوله: " فَطَفقْتُ، إذَا خَرَجْتُ في النَّاس، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْه في النِّفَاق، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ". رواه البخاري: (٤٤١٨) مسلم: (٢٧٦٩).

عناية القرآن والسُّنَّة بأمر القدوة:

الذي يأخذ بالقدوة يكون من المرحومين، والذي يتخلف عنها يعود من المحرومين، ولهذا كان الحديث عنها متكررًا في كتاب الله تعالى " وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ" (هود: ١٢٠).

قال تعالى: " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ" (يوسف: ٣)، وقال تعالى: " نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى" (الكهف: ١٣).

وقد قصَ النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه كثيرًا من أخبار الأمَم المَاضِية والقُرُون الْخَالِية ما يبين قيمة القدوة ويعلم بخطرها وما يفصح عن أثرها وتأثيرها.

فمن ذلك: قصة أصحاب الغار الذين توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم كي ينجيهم من الصخرة التي سدتُ فم الغار، وقصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم قصد التوبة وانطلق إلى الأرض الصالحة فقبض في وسط الطريق وكان أقرب إلى الأرض الصالحة بشبر حينما نأى بصدره نحوها ثم دخل الجنة، وقصة الرجل الذي أسلف أخًا له ألف دينار، وقال: كفَى بالله شهيدًا، فرد الله إليه ماله الذي جعله الَمدين في خشبة ودَقَ عليه وزجَج المسمار ثم دفعه في البحر وسط تعالي الأمواج وهيجان البحر حتى بلغ المال صاحبَه، وقصة الرجل الُموسر الذي كان يُيَسَر على المُعسر فدخل الْجَنَة بذلك.

والغرض الذي قصد من أجله هذه القصص إحداث انفراجة في النفوس للتأمل في هذه القدوات، والترغيب في الأخذ بالقدوة، وتمهيد الطريق لتحقيق هذه النماذج الفذة، وتربية النفوس على النظر إلى أمثلة بديعة المثال، وغير منيعة المنال، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

شفاك الله وعافاك

إعداد الشيخ: عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وحده، وسلام على عباده الذين اصطفى. أما بعد:

فقد أكد رب العزة عز وجل أن ابتلاء الناس أمر لا محيص عنه؛ حتى يأخذوا الأهبة والاستعداد للنوازل، فلا تذهلهم المفاجأة. قال سبحانه وتعالى: « وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ » (البقرة: ١٥٥). وقد يكون ما ينزله الله بالعبد ابتلاءً وامتحانًا، ليعظم أجره، ويعلي منزلته. فإن بلوغ المنازل العالية بالصبر على البلاء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها» (صحيح الترغيب: ٣٤٠٨).

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يبتلي الخُلص من عباده، فعن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» (صحيح الترغيب: ٣٤٠٢).

الابتلاء بالمرض:

ومن الابتلاءات التي تعتري الإنسان: المرض وقد أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك». (صحيح الجامع: ١٠٧٧)، كما أشار إلى هذا المعنى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، حيث قال: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» (البخاري: ٦٤١٦).

وللجميع في رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى، والقدوة الحسنة فقد مرض وصبر على مرضه صلى الله عليه وسلم، عن أبي سعيد رضي الله عنه: أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موعوك، عليه قطيفة، فوضع يده فوق القطيفة، فقال: ما أشد حُماك يا رسول الله. قال: «إنا كذلك يُشدَّد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر» (صحيح الترغيب: ٣٤٠٣).

وهذا نبي الله أيوب عليه السلام أصبح صبره على ابتلائه مضرب المثل: فلان صابر صبر أيوب. وكيف له. وقد لبث في مرضه ثمان عشرة سنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن نبي الله أيوب عليه السلام لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة» (الصحيحة: ١٧)، وليس

كأي بلاء -يُذكر أنه لم يبق في جسده عليه السلام مغرز إبرة سليمًا سوى قلبه، ومع هذا صبر واحتسب حتى ظفر بثناء الله عليه فقال عز وجل: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (ص: ٤٤).

فإن عاقبة الصبر الفرج والمخرج من كل كرب بإذن الله. وقد وعد الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الصابرين على المرض بمنح ثمينة وأجور عظيمة.

١) دخول الجنة:

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله ألا أتكشف، فدعا لها. (البخاري: ٥٦٥٢، ومسلم: ٢٥٧٦).

٢) الصبر علامة على إرادة الله تعالى بصاحبه الخير:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرًا يصب منه» (البخاري (١٠٣/١٠))، ومعنى: (يصب منه) أي: يوجه إليه مصيبة في بدنه أو ماله أو محبوبه.

٣) الظفر بلقب الإيمان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له». (مسلم: (٢٩٩٩)). ففي الحديث دلالة: على أن حياة المؤمن كلها خير وأجرٌ له عند الله، سواء أكان فيما يظهر له أنه شر وخير، فالمؤمن الذي كمل إيمانه، وخلص يقينه يشكر الله في السراء، ويصبر على الضراء فهو يتقلب في مقام الرضا، ولذلك تنقلب النقمة في حقه نعمة والمحنة منحة، بما فيها من أجر وثواب وحسن مآب.

٤) نيل أجر الشهيد:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرها أنه: «كان عذابًا يبعثه الله تعالى على من يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في الطاعون، فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يُصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد». (البخاري: ٥١٣/٦).

٥) تكفير السيئات ورفع الدرجات:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صداع المؤمن، أو شوكة يشاكها، أو شيء يؤذيه، يرفعه الله بها يوم القيامة درجة، ويكفر عنه بها ذنوبه». (صحيح الترغيب: ٣٤٣٤).

٦) جريان عمل المريض حتى يشفى:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا». (البخاري: ٢٩٩٦).

٧) معية الله للمريض:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟». (صحيح مسلم: ٢٥٦٩).

٨) رحمة الله تحف بالمريض:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضًا خاض في الرحمة، فإذا جلس عنده استنقع فيها». (صحيح الترغيب: ٣٤٧٩).

٩) عيادة الملائكة للمريض الذي كان يصلي في المسجد:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للمساجد أوتادًا، الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم». (صحيح الترغيب: ٣٢٩)، معنى: (أوتادًا) يعني: زُوَّارًا.

١٠) إن المريض إذا حمد الله لعواده أدخله الله الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين، فقال: انظروا ما يقول لعواده فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله عز وجل وهو أعلم، فيقول: لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن شفيته أن أبدله لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، وأن أكفر عنه

سيئاته». (صحيح الترغيب: ٣٤٣١).

١١) النجاة من النار:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمى كير من جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار». (صحيح الجامع: ٢١٨٨).

١٢) كلما اشتد المرض كان الأجر مضاعفًا:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكًا شديدًا، قال: «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم». قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: «أجل ذلك كذلك؛ ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها». (البخاري: (١١٠/١٠)، ومسلم (٢٥٧١).

١٣) غبطة أهل العافية لأهل البلاء:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يودّ أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض». (صحيح الترغيب: ٣٤٠٤).

١٤) ذكر ينجي المريض من النار بإذن الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله، والله أكبر صدقه ربه، فقال: لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، قال: «يقول لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال الملك لا إله إلا أنا ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي». وكان يقول: «من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار». (صحيح سنن الترمذي: ٣٤٣٠).

١٥) الفوز بالأجر الذي لا يعلمه إلا الله:

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» (الزمر: ١٠)؛ فكل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر لأجل هذه الآية. كالماء المنهمر.

١٦) الظفر بمحبة الله عز وجل:

قال الله عز وجل: «وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» (آل عمران: ١٤٦)؛ وهي المنزلة التي فيها يتنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، كيف لا وقد وعد الله عز وجل حبيبه بتزكيته وتطهيره فقال عز وجل: «وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه». (البخاري: ٦٥٠٢).

فمن أحبه الله رزقه محبته وطاعته، والانشغال بذكره وعبادته، وسخر جوارحه في رضاه سبحانه، ويعصمه من الخطأ والعصيان، وإذا استعاذ بالله من شيء أعاذه منه، وإن سأل الله شيئًا أعطاه، وإذا دعاه أجابه وأسعده برضاه، بل ونجاه من النار وعلى هذا أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: صلى الله عليه وسلم: «والله، لا يلقي الله حبيبه في النار». (صحيح الجامع: ٧٠٩٥)، فهذا جزاء من صبر واحتسب ورضي بقضاء الله.

فكل ما يصيب العبد إنما هو بمقتضى تقدير العزيز العليم، ولا يعلم العبد أين الخير في أيّ تقدير، وما عليه إلا الرضا بقدر الله؛ حيث يعلم أن كل ما يصيبه إنما هو بإذن الله. قال الله تعالى: «مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» (التغابن: ١١).

فيا أخي الحبيب: أحسن الظن بالله؛ فقد قال عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله». (صحيح الجامع: ٤٣١٥).

فأحسن الظن - أخي الحبيب - بربك الرحمن الرحيم فهو سبحانه أرحم بالعبد من نفسه التي بين جنبيه، فعلق قلبك بالله فهو الشافي سبحانه وتعالى لا شفاء إلا شفاؤه، وقد قال الله عز وجل على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: «الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» (الشعراء: ٧٨-٨٠).

وأخيرًا أقول لك أيها الحبيب: شفاك الله وعفاك. «لا بأس طهور إن شاء الله».

وأبشرك قريبًا -إن شاء الله- نراك وأنت في كامل الصحة وأحسن حال، وتسارع إلى صالح الأعمال بإذن الملك الوهاب.

الأنكحة المحرمة (٢)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن الأنكحة المحرمة، وذكرنا منها: زواج المتعة، ونكاح التحليل، ونستكمل الأنكحة المحرمة سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل، وأن ينفع به المسلمين.

د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

ثالثًا: نكاح الشغار:

تعريفه: الشغار: أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه ابنته وليس بينهما صداق. المبسوط للسرخسي (١٠٥/٥).

حكمه: اتفق الفقهاء على أن نكاح الشغار منهي عنه، واختلفوا هل النهي يقتضي إبطال النكاح أم لا؟

القول الأول: يصح النكاح بمهر المثل، وإليه ذهب أبو حنيفة- المبسوط للسرخسي (١٠٥/٥).

واستدل على ذلك بما يأتي: أن النهي عن نكاح الشغار متوجه للصداق، وفساد الصداق لا يؤثر على صحة النكاح، لأن النكاح لا يبطل بالشروط الفاسدة- المبسوط للسرخسي (١٠٥/٥).

القول الثاني: النهي يقتضي الفساد، فيفسخ النكاح سواء قبل الدخول أو بعده، وإليه ذهب الإمام مالك والحنابلة- المدونة الكبرى (٩٨/٣)، المغني لابن قدامة (١٧٦/٧).

واستدلوا على ذلك بما يأتي: عن مالك عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى عن الشغار». أخرجه البخاري (٥١١٢)، ومسلم (١٤١٥)

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا شغارَ في الإِسْلامِ». أخرجه مسلم (٦٠ - ١٤١٥).

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه، والنهي هنا متوجه للصداق، وفساد الصداق موجب لفساد النكاح. المدونة الكبرى (٩٨/٣).

القول الثالث: النهي يقتضي إبطال النكاح، وإليه ذهب الشافعي. الحاوي الكبير (٣٢١/٩). واستدلوا على ذلك بحديث ابن عمر السابق.

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار والنهي في الحديث متوجه إلى النكاح فيبطل النكاح. الحاوي الكبير (٣٢٤/٩).

أقوال أهل العلم في زواج الشغار:

جاء في المبسوط للسرخسي (١٠٥/٥): والشغار أن يقول الرجل للرجل: أزوجك أختي على أن تزوجني أختك، على أن يكون مهر كل واحدة منهما نكاح الأخرى، أو قالا ذلك في ابنتيهما أو أمتيهما، ثم النكاح بهذه الصفة يجوز عندنا.

جاء في المدونة الكبرى (٩٨/٣): قال سحنون: قلت: أرأيت إن قلت لرجل زوجني أمتك بلا مهر وأنا أزوجك أمتي بلا مهر؟ قال ابن القاسم: قال مالك: الشغار بين العبيد مثل الشغار بين الأحرار، وأرى أن يفسخ وإن دخل بها، فهذا يدلك على أن مسألتك شغار... إلى أن قال: أرأيت نكاح الشغار إذا وقع فدخلا بالنساء وأقاما معهما حتى ولدنا أولادًا أيكون ذلك جائزًا أم يفسخ؟ قال: قال مالك: يُفسخ على كل حال، قلت: وإن رضي النساء بذلك فهو شغار عند مالك؟ قال: نعم.

جاء في الحاوي الكبير (٣٢١/٩): قال الشافعي رحمه الله: وإذا أنكح الرجل ابنته أو المرأة تلي أمرها الرجل على أن ينكحه ابنته أو المرأة تلي أمرها أن صداق كل واحدة منها بُضع الأخرى، ولم يسمَ لكل واحدة منهما صداقًا فهذا الشغار الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مفسوخ.

قال الخرقي في مختصره مع المغني (٤٥٢/٦): وإذا زوجه وليته على أن يزوجه الآخر وليته فلا نكاح بينهما وإن سموا ذلك صداقًا. قال ابن قدامة: ولا تختلف الرواية عن أحمد في أن نكاح الشغار فاسد... واستدل بحديث ابن عمر المتقدم وغيره.

رابعًا: نكاح المسلمين من أهل الشرك:

أجمع العلماء على أنه لا يجوز زواج المسلم من المشركة ولا المشرك من المسلمة، واستثني من ذلك نساء أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢٢١).

وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة: ١٠).

قال ابن جرير في جامع البيان (٥١٣/٢): بعد أن حكى جملة من أقوال أهل العلم في تفسير آية سورة البقرة... وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أن الله تعالى ذكره عني بقوله ﴿وَلاَ تنكحُوا المُشركات حتَّى يُؤمِنَّ﴾ من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات وإن الآية عام ظاهرها خاص باطنها لم ينسخ منها شيء، وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها وذلك أن الله تعالى ذكره أحل بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: ٥)، للمؤمنين من نكاح محصناتهن، مثل الذي أباح لهم من نساء المؤمنات.

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٧٥/٣): وعلى هذا تأويل جماعة العلماء في قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنكحُوا المُشْركَات حتَّى يُؤمنَّ﴾ أنهن الوثنيات والمجوسيات، لأن الله تعالى قد أحل الكتابيات بقوله: ﴿والمُحصنَاتُ منَ الَّذينَ أوتُوا الكتَابَ من قَبْلكُمْ﴾... إلى أن قال: وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُنكحُوا المُشْركينَ حتَّى يُؤمنُوا﴾، أي: لا تزوجوا المسلمة من المشرك، وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه.

قال ابن كثير في تفسيره (٤٢٩/٤): وقوله تعالى: ﴿فَإنْ علمْتُمُوهُنَّ مُؤمنَات فَلاَ تَرْجعُوهُنَّ إلَى الكُفَّار﴾ فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقينًا ﴿لاَ هُنَّ حلٌ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذه الآية

هي التي حرمت المسلمات على المشركين، وقد كان جائزًا في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة... إلى أن ذكر قول الله تعالى «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن.

خامسا: حكم نكاح أهل الكتاب:

أجمعت الأمة على عدم جواز زواج المسلمة من مشرك وإن كان من أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

والدليل على ذلك: قول الله تعالى: «وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟» (البقرة: ٢٢١)، وقوله تعالى «لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن».

وأباح جمهور أهل العلم زواج المسلم من الكتابية.

وحجتهم في ذلك: أن الله تعالى قال: «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال: «وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» (المائدة: ٥).

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال السرخسي في المبسوط (٢١٠/٤): ولا بأس بأن يتزوج المسلم الحرة من أهل الكتاب لقوله تعالى «وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ» (المائدة: ٥) الآية.

قال الزرقاني في شرح الموطأ (١٧٩/٣): قال مالك: لا يحل نكاح أمة يهودية ولا نصرانية: لأن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه «والمُحصَنات» الحرائر «من المؤمنات والمحصنات الحرائر «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» حل لكم أن تنكحوهن (فهن الحرائر من اليهوديات والنصرانيات) فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل لا المجوس... إلى أن قال: كذا يحرم نكاح نساء سائر الكفار الحرائر غير اليهود والنصارى، كعبدة شمس وقمر وصور ونجوم ومعطلة وزنادقة وباطنية وفرق بين الكتابية وغيرها بأن غيرها اجتمع فيه نقص الكفر في الحال وفساد الدين في الأصل، والكتابية فيها نقص واحد وهو كفرها في الحال.

جاء في روضة الطالبين (٤٧٢/٥): الكفار ثلاثة أصناف: أحدها: الكتابيون: فيجوز للمسلم مناكحتهم سواء كانت الكتابية ذمية أو حربية، لكن تكره الحربية وكذا الذمية على الصحيح، لكن أخف من كراهة الحربية، والمراد بالكتابيين: اليهود والنصارى.

قال ابن قدامة في المغني (٤١٤/٦): ليس بين أهل العلم -بحمد الله- اختلاف في حل حرائر نساء أهل الكتاب، وممن روي عنه ذلك عمر وعثمان وطلحة وحذيفة وسلمان وجابر وغيرهم.

قال ابن المنذر: ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك، وروى الخلال بإسناده أن حذيفة وطلحة والجارود بن المعلى وأذينة العبدي تزوجوا نساء أهل الكتاب وبه قال سائر أهل العلم.

وحرمته الإمامية تمسكًا بقوله تعالى «وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ» (البقرة: ٢٢١). وقوله: «وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ» (الممتحنة: ١٠).

ولنا: قول الله تعالى: «ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» (المائدة: ٥)، وإجماع الصحابة.

فأما قوله سبحانه «وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ» (البقرة: ٢٢١) فروي عن ابن عباس أنها نسخت بالآية التي في سورة المائدة وكذلك ينبغي أن يكون ذلك في الآية الأخرى لأنهما متقدمتان والآية التي في آخر المائدة متأخرة عنهما، وقال آخرون ليس هذا نسخًا فإن لفظ المشركين بإطلاقه لا يتناول أهل الكتاب بدليل قوله سبحانه: «لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ» (البينة: ١)... وذكر آيات أخر ثم قال وسائر القرآن يفصل بينهما.

وللحديث صلة بإذن الله، والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

الحلقة الأخيرة

مرض الغلوبين خوارج الماضي ومرضى العصر

إعداد/ أ.د. مرزوق محمد مرزوق

نائب المشرف العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإننا قد تفضل الله علينا في شهرين متاليين - ربيع الأول وربيع الآخر- في شرح مختصر لحديث ذي الخويصرة المشهور، وقد مَنَّ الله علينا بذكر فوائد ولطائف لعلها تكون لدى القارئ المتفضل مبرورة وفي تقدير كاتبها الفقير الضعيف غير مأزورة، ولتتمة الكلام نقول:

ذكر الحديث:

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: بيْنما نَحْنُ عنْدَ رَسولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وهو يَقْسِمُ قسْمًا، أتاهُ ذُو الخُوَيْصرَةِ-وهو رَجُلٌ من بَنِي تميم- فقالَ: يا رَسولَ اللَّه، اعْدِلْ، فقالَ: ويْلكَ! ومَن يَعْدِلُ إذَا لَمْ أعْدِلْ؟! قدْ خِبْتَ وخَسِرْتَ إنْ لَمْ أكُنْ أعْدِلُ. فقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّه، ائْذَنْ لي فيه فأضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقالَ: دَعْهُ، فإنَّ له أصْحابًا يَحْقِرُ أحَدُكُمْ صَلاتَهُ مع صَلاتِهِمْ، وصِيامَهُ مع صِيامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إلى نَصْله فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى رِصَافِه فَما يُوجَدُ فيه شَيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى نَضِيِّه-وهو قِدْحُهُ- فلا يُوجَدُ فيه شَيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى قُذَذِه فلا يُوجَدُ فيه شَيءٌ، قدْ سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أسْوَدُ، إحْدَى عَضُدَيْه مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، ويَخْرُجُونَ على حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ. قالَ أبو سَعِيدٍ: فأشْهَدُ أنِّي سَمِعْتُ هذا الحَدِيثَ من رَسولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وأشْهَدُ أنَّ عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ قاتَلَهُمْ وأنا معهُ، فأمَرَ بذلكَ الرَّجُلِ، فالْتُمِسَ فَأُتِيَ به، حتَّى نَظَرْتُ إلَيْه على نَعْتِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ الذي نَعَتَهُ.

أولاً: التخريج: متفق عليه وسبق تخريجه.

ثانيا: الشرح: سبق تفصيله.

ثالثا: ونشير إلى مختصر لما أسلفناه من فوائد: (وينظر تفصيله: في العدد السابق وما قبله تفضلاً).

١- مرض العجب بالنفس يفضي للغلو.

٢- في الحديث علامةٌ من علامات النُّبوَّة.

٣- فيه بيان أنه مع تنوع أشكال المخالفة: فإن من سمات المخالفين المشتركة الخروج على هدي سيد المرسلين.

٤- وفي الحديث من حلم النبي-صلى الله عليه وسلم- وصبره على الأذى.

٥- أن للمؤلفة قلوبهم حقًا من الزكاة معلوم.

٦- وفيه أن من صفات الخوارج سوء الأدب، والجرأة.

٧- وفيه أن من صفاتهم: الحكم على النيات والسرائر.

٨- حصرهم نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحكام والولاة.

٩- وفي الحديث تأكيد لمن قال: إن الخروج كما يكون بالسيف يكون بالكلمة.

١٠- ومن سمات الخوارج: سرعة مروقهم من الدين، وانحرافهم عن هدي سيد المرسلين.

رابعا: تتمة لبعض ما يستفاد خلافا لما سبق:

١١- في الحديث من جميل الفوائد أن ميزان تقدير ظواهر العباد في الدنيا هو الكتاب والسنة وما عليه صحيح فهم سلف الأمة، وعليه فإن التعبد إلى الله بمحبة الصالحين وتقديرهم يكون بحسب اتباعهم للشرع لا بحسب موافقة الهوى، وان الصدق في ذلك يكون بتعظيم النص الشرعي بفهم صحيح وتطبيق صحيح لهذا الفهم الصحيح. واننا في هذا لسنا أسرى لأفكار مستوردة خارجية، ولا هلوسات هدامة مرضية منابعها أشتات بحسب حال المريض، ومصبها فتنة وفساد عريض: فمن غال في التجريح في العلماء والأمراء، وبغض الصالحين، ومن غال في التكفير أو التفجير أو الإنكار أو الإعراض عن هدي سيد المرسلين، ومن غال في المبالغة في شأن المبتدعين وتقديمهم وتصدرهم، وكله في آخره له قواسم مشتركة المنبع والمصب، منبعها قلب مريض، ومصبها فساد عريض.

وفي التدليل على هذا من الآثار ما لا يحصيه حريص: فمنه هذا الحديث الشريف، إذ لا يغتر متتبع لما يبديه بعض الغالين المبتدعين من تنسك على غير الهدي النبوي، لدرجة أننا قد نرى من ظاهرهم ما أخبر به الرسول الأمين: (تنكرون صلاتكم إلى صلاتهم)، ومع هذا لا ينفعهم تنسكهم الغالي: إذ هو مروق رخيص. ومما يشتهر في ذلك: ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على المنطقيين (ص:٥١٥-٥١٦) قال: "وقال غير واحد من الشيوخ والعلماء: لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي".

وقال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: قلت للشافعي: كان الليث بن سعد يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال الشافعي: قصَّر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة" (ينظر: شرح الطحاوية ج٢/٧٦٩).

فلا يغرنا من ظواهر المخالفين تنسكهم على غير الهدي النبوي الكريم، ولا يخدعنا من عناوينهم ما أعلنوه من معسول اللفظ. وخلاصته فإن ديننا الصحيح ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بفهم صحيح وتطبيق صحيح لهذا الفهم الصحيح.

١٢- ومن سمات وأمراض هؤلاء الغالين مع قلة العلم- كما أسلفنا في الحلقة الماضية- نجدهم مع هذا متعالمين: فتجد منهم نفسنة المزاحمة للعلماء، فتجدهم يسارعون في الفتوى، ويحرصون على تصدُّر المجالس والتدليل بهذه الصفة على المرض هو أرحم وصف وعلى أقل تقدير إن لم يكن ما هو أنكى من ذلك وأبكى؟!

لا يرجعون لأهل العلم والفضل إلا من وافق هواهم، فيرى الواحد منهم نفسه لابن عباس رضى الله عنهما في تفسيره قرينًا، ولباقي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في تفكيره شبيهًا، ولستُ في ذلك مبالغًا فليست عبارة (هم رجال ونحن رجال) التي يرفعون بها عقيرتهم ليست عن المسامع ببعيدة، ولا جرأتهم على الصحابة بل

وجناب الرسالة عن المتتبع بخافية؛ فقد قرأنا ثم عايشنا وعاينًا جُملًا مثل هذه مكرورة مشتركة بين غلاة التجريح والتكفير والتفجير والإنكار والإعراض؛ إذ كله مشكاته واحدة، قلب مريض وعقلٌ مغيب.

هدي السلف تجاه الفتوى ومحبة التصدر:

هذا ومن المعلوم من حال الصحابة رضي الله عنهم بالضرورة ومن تبعهم بإحسان من أهل العلم أنهم يدفعون الفتوى ويتدافعونها، ولا يحبون التصدر ويهربون منه، والآثار في هذا كثيرة، منها ما ذكر النووي في أدب الفتوى والمفتي والمستفتي روايات وأقوال تحذر من التجرؤ والتسرع في الفتوى منها قوله: "وروينا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: "أدركتُ عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول".

ثم ما اشتهر عن الشعبي والحسن وأبي حصين قالوا: إنَّ أحدكم ليُفتي في المسألة، ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر.

١٣- ومما يستفاد من الحديث أن من أمراض الغالين المخالفين أنهم يلبسون الحق بالباطل، فينطقون بعناوين ظاهرها فيه الرحمة والصحة وباطنها فيه البطلان والعذاب. ولذا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمثال هؤلاء: "سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ" رواه البخاري ومسلم.

قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث: وقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: "يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ"، مَعْنَاهُ فِي ظَاهِرِ الأَمْرِ، كَقَوْلِهِمْ لا حُكْمَ إِلاَّ لِلَّهِ، وَنَظَائِرِهِ مِنْ دُعَائِهِمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ اهـ. وأما حقيقة أمرهم فالله به عليم.

ومن هذا مقولة اشتهرت بين الناس وانتشرت، روَّجت لها وسائل الإعلام، وسرت على أسنة ألسنة حداد من بعض الأنام، وراجت في مواقع التواصل والفواصل وعبر بعض البرامج المأجورة المأزورة ألا وهي قولهم: لا أحد فوق النقد.

وهذا قول فادحٌ فاحش أريد به الهدم لا النقد، فضلاً عن رده ورفضه؛ إذ هو مخالف لأصل عقيدتنا.. فنحن المسلمون نعتقد أن الذات الإلهية فوق النقد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فوق النقد، وما جاء في الكتاب والسُّنَة فوق النقد، وأصحابَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فوق النقد، وما أجْمعَتْ عليه الأمَّةُ فوق النقد.

فمُخالفةُ الإجماع خُروجٌ عن سَبيل المؤمنين؛ قال الله عزَّ وجلَّ: «وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (النساء: ١١٥)؛ قال السَّمَرْقَنْدِيَ في "تفسيره": وفي الآيـة دليلٌ على أن الإجماعَ حُجَة؛ لأن مَن خالف الإجماع فقد خالف سبيل المؤمنين. اهـ. وما تلقَّته الأمَّةُ بالقَبول محَلُّ اتِّفاق، فمن هو الذي سيجعلُ عقله حاكمًا على عُقول علماء أمَة محمد صلى الله عليه وسلم؟!

وختامًا فإننا نقول: إن الذي سطرناه هو قولة حق تجاه هؤلاء السادة من العلماء والأمراء يجب بيانه وسلوك حكيم تجاه أولياء أمورنا يجب سلوكه مهما كان ذلك هضمًا لحق أنفسنا: فالمسلم يعيش حياته بحسب النصوص الشرعية، وفهمها وتطبيقها لا بحسب انفعالات حماسية ومطالب دنيوية ونزوات شخصية تحركه وتحكمه.

والله من وراء القصد، وفي هذا القدر الكفاية، وأستغفر الله رب العالمين.

رسائل أهل الإسلام في الدفاع عن خير الأنام

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإنه من آنٍ لآخر تحل علينا أحداث باطنها فيه الرحمة لأهل الإيمان، وظاهرها العذاب من قِبل أهل الطغيان. والأحداث متكررة، فالفعل والفاعل والمفعول والدافع وحقيقة الأمر وأصله وما وراء ذلك واحد تقريبًا؛ فلو اختلف الشكل فالمضمون واحد.

لكن اللافت المحزن أن ردود أفعال المسلمين تجاه هذه الأحداث نراها لا تكاد تختلف كثيرًا، فنراهم يحزنون ثم يشجبون، ثم ينسون فيهدؤون، وربما يزيد بعضهم كما فعل معنا كثير من الطيبين، فيطالبوننا بوقفتنا وقومتنا ودورنا وريادتنا كدعوة للتوحيد، ولا مانع من ذلك كله؛ فالدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم باللسان سنة ماضية وفريضة واجبة باقية، وبيان ذلك قصص حسان بن ثابت وأمثاله ومطالبة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بذلك ليست عن الناس بخافية.

لكن الذي ينقمه الحكماء من صالح الفلاسفة والعلماء هو تكرار نفس الدور بنفس الطريقة والانتهاء لنفس النهاية والنتيجة بغير إنجاز مذكور مشكور؛ فهل هذا أمر معقول مقبول؟

لذا كانت هناك رسائل من مجلتنا، لعل من أهمها:

أولها: استجابة لنداء المحبين ببيان موقف دعوة التوحيد تجاه المتجرئين علي نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم وهو ليس بنافلة بل واجب ودين، وكذا توجيه شيوخنا وسادتنا بفروعنا وجمعيتنا بضرورة القيام بحق خير الأنام على الوجه الصحيح بعيدا الشطط والغلو وفي طريق التعليم والدعوة والتهذيب والسمو فيكون حفاظا على عقيدتنا وشريعتنا وأمننا ودولتنا.

ثانيها: قلت لا أحرم من المشاركة ولو بعبارة أو رسالة مختصرة تقول: إن الدفاع عن نبينا الكريم، وإن كان فرضًا على المسلمين ديانة فهو في حقيقته من العدل والإنصاف وفي حق غير المسلمين نخوة وشهامة وأمانة فرسول الله جاء ليخرج الناس أجمعين من عبادة العباد لعبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا لسعة الدنيا والآخرة، فآمن به من آمن؛ فأحسن لنفسه فأعتقها، وتخلف عن الخير من تخلف فأساء لنفسه وأوبقها، فكان على المحسن لنفسه والمسيء واجب الدفاع جميعًا عن رحمة الله للعالمين، وهل يستحق مُنقذ البشرية منها أقل من هذا القليل من العدل والفرار من الجور والهطل؟

ثالثاً: لقد طمأن النبي صلى الله عليه وسلم المحبين على دين رب العالمين الذي ارتضاه الله للخلق أجمعين بما رواه أحمد والحاكم وغيرهما من حديث تميم الداري رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: "ليبْلُغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدرٍ ولا وَبرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بعزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذليلٍ، عزًّا يُعزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذلُّ الله به الكفر" قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٧): رجاله رجال الصَّحيح. وقال الألباني في "تحذير الساجد" (١٥٨): على شرط مسلم، وله شاهد على شرط مسلم أيضًا.

لكننا وإن كان قطار الخير واصل غايته لا محالة فمن المعتقد المفهوم لدى العقلاء من كلام الله وسنة خير الأنبياء أن "كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها" و"أن سلعة الله غالية وسلعة الله الجنة" (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) و(إن العزة لله جميعًا)، فهلا كانت البيعة الآن لربنا للقيام بواجبنا تجاه ديننا ونبينا، والعلم لمن أراد الزيادة مبذول، والخير لمن أراد المشاركة منشور: ففروا إلى الله، إنه نعم المولى ونعم النصير.

غزوة بدر

الحلقة 2

إعداد **د/ سيد عبد العال**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من نبي لا بعده أما بعد؛ فإن لدراسة السيرة النبوية أعظم الأثر في صياغة شخصية المسلم قائدا وتابعًا آمرا ومأمورا وفي كل حال ولذلك أوصى بها السابقون؛ ومن ذلك ما قال الزهري "في علم المغازي علم الآخرة والدنيا"

وها نحن نواصل السير في صحبة أهل بدر، ولا نزال في الطريق إلى موطن النصر وعلى مقربة من يوم الفرقان، ونذكر الآن ثلاثة مواقف

الأول: مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في المشقة والتعب

لقد كان جيش بدر في حالة إعواز من الظهر؛ حيث كان معهم سبعون من الإبل يتناوبون عليها حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى حالهم دعا لهم فقال: "اللهم إنهم حفاة؛ فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم". وهنا تتجلى عظمة القائد صلى الله عليه وسلم؛ حيث يشترك معهم في التناوب على المشي؛

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ! فَقَالَ: " مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا! "

فما أروع هذا الموقف عندما يستوي القائد والجند في تحمل الشدائد وقد تملكهم الصدق في التطلع إلى رضوان الله! وكيف لا يحتمل الجند المشاق وقائدهم يسابقهم في ذلك، ولا يرضى أن يكون دونهم في مواجهتها، وهو في الخامسة والخمسين من عمره!!. وهذا درس عظيم للقادة على مختلف المستويات بداية من قيادة الأسرة حتى قيادة الأمة؛ ليعلم الجميع: أن مواساة القائد جنده بنفسه وما يستطيع تستخرج من الجندي أقصى الطاقات وأعلى الطاعات وأشد الحب، وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم مليئة بهذه المواساة والمساواة إلا إذا كان هناك عذر، أو كان هناك تقعيد لمبدأ.

وقوله: "زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم" أي: عديليه، فالزميل هو الذي يركب معك على دابة واحدة بالتناوب أي: أن ثلاثتهم يتعاقبون بالركوب على بعير واحد..

وقوله: "نمشي عنك"؛ أي: نمشي في جميع الطريق لتركب أنت؛ ففيه منقبة لأبي لبابة وعلي رضي الله عنهما .

وفيه غاية التواضع منه صلى الله عليه وسلم، والمواساة مع الرفقاء، والافتقار إلى الله تعالي.

وفيه حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الأجر، وتعليمه للأمة مكارم الأخلاق.

الثاني: عظمة القائد في الحس الأمني وأخذ الحيطة لجيشه

لحق بالمسلمين رجل يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أن يشترك معه في الحرب ولما كان هذا الرجل مشركا والنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم نيته رفضه في بادئ الأمر حتى أسلم؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ"، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: "فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ"، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: "تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟" قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَانْطَلِقْ"

قوله: " حرة الوبرة ": بفتح الباء وسكونها: موضع على نحو أربعة أميال من المدينة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " ارجع فلن أستعين بمشرك " فيه رفض الاستعانة بالمشركين في الحرب، وقد جاء في حديث آخر: أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بصفوان بن أمية قبل أن يسلم، وبه استدل من قال: بالجواز.

والحق أنه لا تعارض بينهما؛ فنحمل حديث عائشة رضي الله عنها في غزوة بدر على أمرين أحدهما: أن الأصل عدم الاستعانة بالمشركين في الحرب .

الثاني: أن الرجل أراد أن يشارك بنفسه ولا نعلم نيته؛ فلا يؤمن غدره، فوجب أخذ الحذر والحيطة لا سيما والنبي صلى الله عليه وسلم معلم للأمة.

ويحمل الحديث الثاني: على أنه لم يشترك في الحرب بنفسه وإنما استعار منه النبي صلى الله عليه وسلم سلاحاً ثم رده إليه.

ويقال أيضًا: إن الحكم يختلف باختلاف الأشخاص والظروف، والتحريم أقرب في مثل ظروف بدر.

وقال ابن عثيمين: فإن قيل: أليس النبي صلى الله عليه وسلم قد استعان بصفوان بن أمية في استعارة الدروع منه؟ قلنا: بلى لكن هذه استعانة بالمال، والذي نفاه الرسول صلى الله عليه وسلم هنا الاستعانة بالنفس؛ لأنه إذا أعاننا بنفسه لا نأمن خيانته أن يدل الأعداء على خفايا أسرارنا أما الاستعانة بالمال؛ فلا بأس، لأن الذين استعملوا الدروع هم المسلمون؛ فلا ضرر علينا؛ فلا يعارض هذا الحديث.

فإن قال قائل: أليس قد استعان النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أريقط في الهجرة وهو مشرك؟

فالجواب: أنه أمن خيانته؛ فمتى أمنا من خيانتهم واستفدنا منهم بالرأي أو بالقتال؛ فلا بأس؛ لأن الحكم يدور مع العلة وجودًا وعدمًا... فالذي يظهر: أن الأصل منع الاستعانة بالمشركين في الحرب لكن إذا كان هناك مصلحة ومنفعة محققة مع الأمن من غدرهم ومكرهم؛ فإن ذلك لا بأس به؛ لأنه مصلحة بلا مضرة والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا. فتح ذي الجلال والإكرام (٥/ ٤٦٩)

الثالث مشورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه

فقد ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ الطريقِ نَزَلَ وَقد أَتَاهُ الْخَبَرُ عَنْ قُرَيْشٍ بِمَسيرِهِمْ؛ واصرارهم على الحرب؛ فَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه

وسلم - النَّاس وأخبرهم عن قريش ...

وخشي فريق منهم المواجهة في وقت لم يتوقعوا فيه حربا كبيرة، ولم يستعدوا لها بكامل عدتهم؛ وفيهم نزل قول الله تعالى: "كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون. يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهو ينظرون. وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين"

وتكلم قادة المهاجرين، منهم أبوبكر وعمر والمقداد بن عمرو رضي الله عنهم، وأظهروا شوقهم للمواجهة مهما كانت النتيجة؛ فعَنْ أَنس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ شَاوَرَ النَّاسَ يَوْمَ بَدْر، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْر [فقال وأحسن؛ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ [فقال وأحسن، فَأَعْرَضَ عَنْهُ

عن ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ رَجُلًا فَارِسًا- وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَاللَّهِ لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ وَلَكِنْ امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ؛ نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَكَأَنَّهُ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ"

ورغم عظمة ما قاله قادة المهاجرين متضمنًا إقرار الأنصار؛ لأنهم يسمعون ولم ينكروا إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم استمر قائلا: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الأَنْصَارَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ، وَأَنَّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا بُرَاءُ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دِيَارِنَا، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا، فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِنَا نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا؛ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّفُ أَلاَّ تَكُونَ الأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نَصْرَهُ إِلاَّ مِمَّنْ دَهِمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلاَدِهِمْ.

فما أروع ما قالوا!

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: " اسْتَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْرَجَهُ إِلَى بَدْرٍ؟ فَقَالَ قَائِلُ الأَنْصَارِ: تَسْتَشِيرُنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنَّا لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ، إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لاَتَّبَعْنَاكَ.

فتأمل هذا الرد، وكأنه ألهمه من كلام المقداد؛ رضي الله عنهم جميعاً، أو هو اتحاد المبدأ ووحدة الهدف؛ فاتفق الكلام، ويأتي دور سعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس: لما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم قال: وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَجَلْ! قَالَ: قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ...؛ فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَّطَهُ ذَلِكَ.

وأما سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه: فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا: أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا.

وفي هذه المشورة فوائد كثيرة ويكفيك أن تتذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم يوحى إليه ومع ذلك يقول: أشيروا علي أيها الناس؛ ففيه دليل على أنه يشرع للإمام أن يستشير أصحابه الموثوق بهم ديناً وعقلاً.

والحمد لله رب العالمين.

تبًّا لك يا أبرهة العصر

إعداد الشيخ: معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، اختصه الله بالقرآن، وميزه بجوامع الكلم وفصاحة اللسان، وفضله على جميع مخلوقاته من مَلَك وإنس وجان، ختم الله به الرسالة، وهدى به من الضلالة، وبصر به من العماية، وأرشد به من الغواية، فرض على الناس طاعته، وأوجب عليهم محبته، شرح له صدره ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وأعلى قدره، وجعل الذل والصغار على من خالف أمره، فصلى الله وسلم وبارك عليه، وزاده رفعة ومكانة لديه، ورضي الله عن آله وصحابته الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فما يزال الباطل ينفث سمومه من آن لآخر والكفر يطل علينا بوجهه القبيح، فقد تأججت نيران العداوة والبغضاء في قلوب أعداء الإسلام، وغلت مراجل الحقد في صدورهم، وتطاول اللئام على مقام سيد الأنام، وخرج علينا الأفاك الأثيم زكريا بطرس يبث سمومه ويتطاول على الله ورسوله ويطعن في الدين وأصوله مقتفيًا نهج أسلافه من الكفرة الفجرة أتباع أبي لهب وأبي جهل وأبرهة،وأنصار مسيلمة الكذاب، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(البقرة: ١١٨).

إنا كفيناك المستهزئين:

إن الجريمة النكراء والفعلة الشنعاء التي ارتكبها الكفّارُ الأثيم أبرهة العصر في حق سيد الأنبياء لهي نذير شؤم ووبال ودمار عليه في الدنيا والآخرة، فسنة الله ماضية فيمن يستهزئ برسول الله صلى الله عليه وسلم أو يؤذيه أو يتعرض لمقامه الشريف بالقول أو الفعل، فحينما أكرم قيصر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرم رسوله ثبت ملكه واستمر زمانًا، وأما كسرى فمزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق الله ملكه بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا

مصداق قوله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا » (الأحزاب: ٥٧).

وقوله تعالى: إنا كفيناك المستهزئين (الحجر: ٩٥)، وقوله تعالى: « إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ » (الكوثر: ٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الله منتقم لرسوله صلى الله عليه وسلم ممن طعن عليه وسبَه، ومُظهر لدينه ولكذب الكاذبين إذا لم يُمكن الناسَ أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حدثَناه أعدادٌ من المسلمين العدول أهلُ الفقه والخبرة عما جربوه مرات، متعددة في حصار الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية لما حاصر المسلمون فيها بني الأصفر في زمانهم قالوا: كنا نحن نحاصر الحصن أو المدينة الشهرَ أو الأكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحهُ وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك. ثم يُفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظا عليهم بما قالوا فيه صلى الله عليه وسلم. (الصارم المسلول ٢/٣٣٢)

«وليسمع أبرهة العصر» شيئًا مما قاله حسان بن ثابت في الرد على أمثاله دفاعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم:

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاءُ
أتهجوه ولستَ له بكفء
فشرُّكما لخيركما الفداءُ
فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمدٍ منكم وقاءُ
هجوتَ مباركا برًا حنيفًا
أمين الله شيمتُه الوفاءُ
فمن يهجو رسولَ الله منكم
ويمدحُه وينصرُهُ سواءُ

«اهجُهُم وجبريلُ معَك»

عن البراء بن عازب رضي الله قال : سمعتُ رَسولَ الله صلي الله عليه وسلم يقولُ لِحسَان بن ثابت : «اهْجُهُمْ ، أوْهاجِهِمْ ، وَجِبْريل معكَ.» [أخرجه البخاري (٣٢١٣) ، ومسلم (٢٤٨٦) .

«اهجهم» : اذكر عيوبهم بشعْرك ..

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح ١٠/٥٤٧» : «وفي الحديث جواز سب المشرك جوابا عن سبه للمسلمين ، ولا يعارض ذلك مطلق النهي عن سب المشركين لئلا يسبوا المسلمين ، لأنه محمول على البداءة به ، لا على من أجاب منتصرا» .

وفي ذلك بيان لأهمية الذب عن النبي صلي الله عليه وسلم. باللسان والبيان.

صور مشرقة لدفاع الله سبحانه
عن نبيه صلى الله عليه وسلم

(١) دفاع عجيب عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا وأنا محمد». (رواه البخاري ٣٣٥٣).

فكان الكفار من قريش من شدة كراهتهم للنبي صلى الله عليه وسلم يتجنبون ذكره باسمه الشريف الدال على المدح والثناء، فيعمدون إلى ضده ويقولون «مذمم»، ولاشك أن هذا من نصرة الله لنبيه وحماية الله له صلى الله عليه وسلم لأن الله صرفهم عن أن ينطقوا باسمه الشريف، وعن إيقاع الشتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا:

وعنه أيضا رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه (أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب) بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم.

فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه (رجع يمشي إلى الوراء) ويتقي بيديه، فقيل له: ما

لك ؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا». (رواه مسلم برقم: ٢٧٩٧، وأحمد ٢/٣٧٠).

(٣) تبت يدا أبي لهب وتب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزل: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (الشعراء: ٢١٤)، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحا (كلمة ينادى بها للاجتماع عند وقوع أمر عظيم)، فقالوا: من هذا ؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أنَ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». قال أبو لهب: تبًا لك، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام، فنزلت: تبت يدا أبي لهب وتب. (رواه البخاري برقم ٤٧٧٠)

(٤) امرأة أبي لهب تقود حملة الإيذاء وتناصب النبي صلى الله عليه وسلم العداء:

وكانت امرأة أبي لهب أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان لا تقل عن زوجها في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بابه ليلاً، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حربًا شعواء على النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب.

ولما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر (حجر). فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت: مذممًا عصينا، وأمره أبينا، ودينهِ قلينا، ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك ؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني. (سيرة ابن هشام: ١/٣٣٥، ٣٣٦)

(٥) الأرض تتنكر لمن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجلٌ نصرانيًا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانيًا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد، وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له، فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه». (رواه البخاري ٣٦١٧)

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فهذا الملعون الذي افترى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما كان يدري إلا ما كتب له، قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفن مرارًا، وهذا أمر خارج عن العادة، يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذبًا إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا. (الصارم المسلول ٢/٣٣٢)

(٦) حتى الحيوانات تنتقم لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

كان النصارى ينشرون دعاتهم بين قبائل المغول من أجل تنصيرهم وقد مكن لهم الطاغية هولاكو طريق الدعوة بسبب زوجته الصليبية (ظفر خاتون) وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل، مغولي، كبير، عقد لسبب تنصر أحد أمراء المغول، فجعل واحد منهم يتنقص النبي صلى الله عليه وسلم ويسبه وكان هناك كلب صيد مربوط فلما أكثر الصليبي الخبيث من ذلك زمجر الكلب ووثب عليه فخمشه فخلصوه منه بعد جهد، فقال بعض من حضر هذا بكلامك في حق محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: كلا، بل هذا الكلب

عزيز النفس رآني أشير بيدي فظن أني أريد أن أضربه، ثم عاد إلى ما كان فيه من سب النبي صلى الله عليه وسلم فأطال، فوثب الكلب مرة أخرى على عنق الصليبي وقلع زوره فمات من حينه، فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفًا من المغول. (الدرر الكامنة لابن حجر ٣/٢٠٢)

(٧) قصة عجيبة:

يروي الشيخ أحمد شاكر قصة عجيبة عن والده الإمام العلم محمد شاكر والذي كان يعمل وكيلاً للأزهر: يقول أن والده كفر أحد خطباء مصر وكان فصيحًا متكلمًا مقتدرًا وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد أمراء مصر عندما أكرم طه حسين، فقال في خطبته: يتملق الأمير وينافقه «جاءه الأعمى فما عبس بوجهه وما تولى»، وهو يريد بذلك التعريض برسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث إن القرآن ذكر قصته مع الأعمى، فقال تعالى: «عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ» (عبس: ١، ٢)، فبعد الخطبة وقف الشيخ محمد شاكر أمام الناس وقال لهم: إن صلاتكم باطلة، وأمرهم أن يعيدوا صلاة الجمعة لأن الخطيب كفر بهذه الكلمة التي تعتبر شتمًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق التعريض لا التصريح.

لكن الله تعالى لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الآخرة. يقول الشيخ أحمد شاكر: فأقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي بعد بضع سنين وبعد أن كان عاليًا منتفخًا مستعزًا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء رأيته مهينًا ذليلاً خادمًا على باب مسجد من مساجد القاهرة يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذل وصغار، حتى لقد خجلت أن يراني وأنا أعرفه وهو يعرفني لا شفقة عليه فما كان موضعًا للشفقة ولا شماتة فيه فالرجل النبيل يسمو على الشماتة. ولكن لما رأيت من عبرة وعظة.

وفي الختام نقول:

لأمثال هؤلاء السفهاء وأذنابهم ممن تطاولوا على مقام نبينا الأمين ورسولنا الكريم، وتعرضوا بالأذى لجنابه الشريف صلى الله عليه وسلم: اخسؤوا أيها الأوغاد فلن تعدوا قدركم، إنما أنتم أقزام لئام لا وجود لكم، وإنكم في تطاولكم قد تجاوزتم كل حد؛ والسر في ذلك أنكم لا تجدون في بلاد المسلمين من يردعكم، وقديمًا قالوا من أمن العقوبة أساء الأدب، ومهما صنعتم أيها المفسدون في الأرض، فاعلموا أنكم لن تنالوا من قدر نبينا صلى الله عليه وسلم فأتباعه في كل يوم يزيدون فموتوا بغيظكم أيها المفتونون.

يا ناطح الجبلَ العالي لِيَكْلِمَهُ
أَشفقْ على الرأس لا تُشفقْ على الجبلِ..!!
كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهنها
فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوعلُ..!!

لن نقبل اعتذاركم ولا بد من محاكمة عاجلة:

واعلموا أننا لن نقبل منكم اعتذارًا على ما بدر منكم فجريمتكم العظمى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم أكبر من أن يجبرها اعتذار، فلا تعتذروا قد ازددتم كفرًا على كفركم، والله حافظ دينه، وناصر نبيه صلى الله عليه وسلم، ومؤيد أوليائه، كما نطالب الحكومات الإسلامية وخاصة الحكومة المصرية والأزهر الشريف سرعة اتخاذ الاجراءات لتسليم الكذاب الأشر زكريا بطرس الذي تعرّض بالأذى للجناب الكريم لرسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم ومحاكمته في محاكم إسلامية وفقًا لشريعتنا المطهرة الغراء لينال العقوبة الرادعة جزاء ما اقترفت يداه؛ وحتى يكون عبرةً وعظةً للسفهاء من أمثاله ممن تسول لهم أنفسهم أن يصنعوا مثل صنيعه.. والله المستعان.

صلوا على الهادي العظيم الشان
حتى تغيظوا بالصلاة الشاني!
يا صاحبَ الخُلُق العظيم تحية
من خافقي وجوارحي ولساني!
إن زاد أهل الكفر فيه مذمة
زدنا له حبًا بلا نقصان!
من ذمه فالذم فيه وما له
يوم المعاد سوى لظى النيران!
كم رام قبلُ الماكرون جنابَه
فعلًا وكانوا في الحضيض الداني!
صلى عليك الله رغمَ أنوفهم
ما في الأذان ذُكرتَ والأذان!

والحمد لله رب العالمين.

نظرات في زواج التحليل (٢)

المراد بزواج التحليل

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فهذه المقالة الثانية في زواج التحليل، وهي مقالة مختصرة المراد منها بيان مسالة واحدة وهي:

بيان المراد بزواج التحليل

زواج التحليل: زواج المقصد منه البناء بالمرأة لتحل لزوجها الأول الذي بانت منه ببينونة كبرى بعد تطليقها آخر ثلاث طلقات؛ لأنها بهذه التطليقة الثالثة تحرم على هذا المطلق تحريمًا موقتًا لأمد حتى تنكح زوجًا غيره.

ولا بد هنا من تمهيدين قصيرين يفقه بهما هذه المسألة على وجهها الشرعي-ولو كان ذلك على وجه الإجمال لا التفصيل-:

التمهيد الأول: النساء اللاتي يحرم الزواج منهن ينقسمن إلى قسمين:

القسم الأول: المحرمات إلى الأبد، وهن خمسة أقسام:

١- محرمات بالنسب وهن سبع: الأم وإن علت، والبنت وإن سفلت، والأخت، والخالة، والعمة، وبنت الأخ، وبنت الأخت.

إعداد **د. محمد عبد العزيز**

٢- محرمات بالرضاع وهن سبع: فيحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، فكل امرأة حَرُمت من النسب حَرُمَ مثلها من الرضاع إلا أم أخيه، وأخت ابنه من الرضاع فلا تحرم.

٣- محرمات بالمصاهرة، وهن أربع: أم الزوجة، وبنت الزوجة من غيره إذا دخل بأمها، وزوجة الأب، وزوجة الابن.

٤- محرمات بالاحترام: وهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهن أمهات للمؤمنين، قال تعالى: «ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ» (الأحزاب: ٦).

٥- محرمات باللعان: وهي المرأة التي لاعنها زوجها بالزنا، أو به وبنفي الولد؛ فتحرم عليه أبدًا، قال ابن قدامة في المغني (١١/١٤٩): «تحرم عليه باللعان تحريمًا مؤبدًا، فلا تحل له، وإن أكذب نفسه، في ظاهر المذهب.

ولا خلاف بين أهل العلم، في أنه إذا لم يكذب نفسه لا تحل له، إلا أن يكون قولًا شاذًا».

القسم الثاني: المحرمات إلى أمد- أي: تحريمًا مؤقتًا- وهن سبعة أقسام:

١- المرأة المتزوجة.

٢- المرأة المعتدة، بعدة طلاق أو عدة وفاة.

٣- المرأة المُحرَّمة بسبب الجمع، فيحرم عليه الجمع بين المرأة وأختها، أو المرأة عمتها، أو المرأة وخالتها.

٤- المرأة الكافرة غير الكتابية، كالوثنية، والملحدة، والمرتدة.

٥- المرأة الخامسة لمن في عصمته أربع نساء.

٦- المرأة المُحرمة بحج أو عمرة.

٧- المرأة المطلقة طلقة بائنة بينونة كبرى لزوجها الذي طلقها، فلا تحل له حتى تتزوج زوجًا غيره، زواجًا صحيحًا، زواج رغبة-لا تحليل-، ثم يموت عنها، أو تطلق منه، أو تختلع، أو ينفسخ النكاح، فعندها تنهدم الطلقات الثلاث التي طلقها هذا الزوج ويحل له الزواج من هذه المرأة بعقد ومهر جديدين؛ لقوله تعالى: « فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ » (البقرة: ٢٣٠).

فلا تحل للمطلق ثلاثًا بيقين إلا بتحقق هذه الشروط، قال ابن حزم في مراتب الإجماع- تحقيق: محمد صلاح فتحي، وهي أجود طبعات الكتاب- (ص ٣٥٧-٣٥٨): «واتفقوا أنه... إن أتبع بعد تلك الثانية- كما ذكرنا أيضًا- ثالثة قبل انقضاء عدتها؛ فإنها لازمة له، وأنه قد سقط مراجعتها، ويحرم عليه نكاحها إلا بعد زوج غيره...

. واتفقوا أنه إن تزوجها: زوج مسلم، حر، بالغ، عاقل، راغب، غير مقصود به التحليل، نكاحًا صحيحًا.... ثم وطئها في فرجها، وأنزل المني، وهما غير محرمين ولا أحدهما، ولا صائمين فرضًا ولا أحدهما، ولا هي حائض، وهما عاقلان، ثم مات عنها، أو طلقها طلاقًا صحيحًا، أو انفسخ نكاحها، فأتمت عدتها، فإن نكحها الزوج الأول بعد ذلك فنكاحه لها حينئذ حلال، وهكذا أبدًا».

واتّفق العلماء على أنّ النّكاح الذي يحلها هو الإصابة، وذلك بإيلاج الحشفة، أو قدرها من مجبوب في فرج المرأة المطلقة، مع انتشار، وإن لم ينزل، فلا يكفي:

- مجرّد العقد.
- ولا الخلوة.
- ولا المباشرة دون الفرج.
- ولا كون العقد الثاني باطلًا أو فاسدًا، بل لا بُدَّ أنْ يكون بعقد صحيح. (توضيح الأحكام، للبسام ٥/٣٠٥).

خلافًا لقول من صرح بأن العقد وحده يحلها فهو قول شاذ لا يعول عليه، لحديث عائشة-رضي الله عنها-: «أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن رفاعة طلقني فبت طلاقي، وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزَّبير القُرَظي، وإنما معه مثل هُدْبة الثَّوْب؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟! لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته». (الحديث أخرجه البخاري في مواضع منها: ٢٦٣٩، ومسلم ١٤٣٣).

وهدبة الثوب: طرفه الذي لم ينسج كَنَّتْ بهذا عن استرخاء ذكره، وأنه لا يقدر على الوطء.

وعسيلته: تصغير عسلة، وهي كناية عن الجماع فقد شبه لذته بلذة العسل وحلاوته).

وتلك المسألة هي المسألة المراد بيانها في هذا المقال.

التمهيد الثاني: أن مقاصد المكلفين في التكليف تنقسم إلى قسمين:

(ومعنى مقاصد المكلفين: أي: الغايات التي يريد تحقيقها من فعل العبادات والمعاملات، وهي معتبرة إجماعًا.

وشرط التكليف: البلوغ، والعقل، والاختيار، والعلم، وفهم الخطاب، والاستطاعة).

القسم الأول: مقاصد معتبرة، وهي المقاصد التي أذن فيها الشرع، كمقصده من البيع والشراء الصحيحين، وهو انتقال الملك وجواز التصرف في المبيع بالانتفاع أو البيع

أو الاجارة أو الهبة.... ومقصده من الزواج الصحيح من حل الاستمتاع بالمرأة وطلب الولد..

فهذه المقاصد المعتبرة التي أذن فيها الشرع لها أثر في صحة العمل إذا انضم لها موافقة العمل للشرع ـــ أي: صحته، وتعتبر صحة العمل: بتحقق الشروط، وانتفاء الموانع، واكتمال الأركان والواجبات ـــ.

القسم الثاني: مقاصد غير معتبرة، وهي المقاصد التي لم يأذن فيها الشرع، كمقصده من عقد العقود الربوية لكسب المال مثلاً، ومقصده من تأقيت الزواج وهو حل الاستمتاع بالمرأة المعقود عليها...

فهذه المقاصد غير المعتبرة التي لم يأذن فيها الشرع فاسدة مهدرة لا يعتبرها الشرع، ولو انضم لها موافقة العمل للشرع في الظاهر بتحقق الشروط، وانتفاء الموانع، واكتمال الأركان والواجبات. (ينظر تعريف الشاطبي لمقاصد المكلفين في كتاب: الموافقات ٢/ ٢٨٩).

عود على بدء:

نرجع الآن لمسألة الباب، فنقول سبق في المقال الأول أن مقصد المكلف من الزواج يتلخص في ثلاثة أشياء مأذون فيها، وهي:

١- تحقيق السكن والمودة بين الزوجين.
٢- إعفاف الزوجين بإرواء الغريزة الجنسية بالحلال الطيب.
٣- طلب الولد الصالح.

فأي هذه المقاصد الثلاثة أراد المحلل من زواج التحليل؟

والجواب: أنه لم يرد أحد هذه الثلاثة، وإنما أراد مقصدًا آخر غيرها، وهو:

الدخول بالمرأة دخولاً صحيحًا في عقد صحيح مكتمل الأركان والواجبات تحققت فيه الشروط وانتفت الموانع؛ ثم يقوم بتطليق المرأة لتحل لزوجها الأول.

فهل اعتبر الشرع هذا المقصد وأذن فيه؟

والجواب: لم يأذن الشرع في هذا المقصد، ولا اعتبره بل أهدره وتوعد فاعله، وتوعد من أذن به أو تواطأ عليه بالطرد من رحمة الله عز وجل، والدليل على ذلك:

قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لعن الله المحلل والمحلل له" وهو حديث صحيح قد جاء عن جماعة من الصحابة- رضي الله عنهم- وهم:

١- علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (٦٣٥)، وأبو داود (٢٠٧٦)، والترمذي (١١١٩)، وابن ماجه (١٩٣٥)، وابن أبي شيبة (٣٧٣٤٦)، وسعيد بن منصور (٢٠٠٨)، والبيهقي (١٤١٨٣) (١٤١٨٤) وغيرهم.

قال الحاكم: صحيح الإسناد.

وقد صححه ابن السكن، وأعله الترمذي، وقال: روي عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر، وهو وهم.

٢- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (٤٢٨٣) (٤٢٨٤) (٤٤٠٣)، والترمذي (١١٢٠)، والنسائي في السنن الكبرى (٥٥٣٦)، وابن أبي شيبة (٣٧٣٤٣)، والدارمي (٢٢٥)، والبيهقي (١٤١٨٥).

قال الترمذي: قال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحافظ في التمييز (٥/ ٢٣١٧): «صححه ابن القطان، وابن دقيق العيد، على شرط البخاري».

وقول ابن دقيق في الاقتراح في بيان الاصطلاح (ص ٣٧٥).

٣- أبو هريرة رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٣)، وابن الجارود في المنتقى (٦٨٤)، والبيهقي (١٤١٨٦)، وابن أبي حاتم في العلل (١/ ٤١٣)، والترمذي في العلل الكبير (٢٧٣).

قال الترمذي: سألت محمدًا عن هذا الحديث، فقال: هو حديث حسن، وعبد الله بن جعفر المخرمي صدوق ثقة، وعثمان بن محمد الأخنسي ثقة، وكنت أظن أنَّ عثمان لم يسمع من سعيد المقبري.

وقال الزيلعي في نصب الراية (٣/ ٢٤٠): الحديث صحيح.

وقال الحافظ في التمييز (٥/ ٢٣١٩): وحسّنه

البخاري.

٤ - عبد الله بن عباس رضي الله عنه:
أخرجه ابن ماجه (١٩٣٤).

٥- عقبة بن عامر رضي الله عنه: ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: هو المحلل، لعن الله المُحَلِّل، والمُحَلَّل له». أخرجه وابن ماجه (١٩٣٦)، والدارقطني (٣٥٧٦)، والحاكم (٢/١٩٩)، والبيهقي (١٤١٨٧) (١٤١٨٨).

قال الحافظ في التمييز (٥/٢٣١٩): وأعله أبو زرعة وأبو حاتم بأن الصواب رواية الليث عن سليمان بن عبد الرحمن مرسلاً.

وحكى الترمذي عن البخاري أنه استنكره.

وقال أبو حاتم: ذكرته ليحيى بن بكير فأنكره إنكارًا شديدًا، وقال: إنما حدثنا به الليث، عن سليمان، ولم يسمع الليث من مشرح شيئًا.

قلت: ووقع التصريح بسماعه في رواية الحاكم، وفي رواية ابن ماجه عن الليث "قال لي مشرح". قال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى (٣/١٥٧): إسناده حسن.

٦- عبيد بن عمير رضي الله عنه:
أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (٢/٢٢٩).

قال الحافظ في التمييز (٥/٢٣١٩): واسناده ضعيف.

ولا شك أن هذا الحديث صحيح، وقد استدل به على مسألتين:

الأولى: عدم اعتبار الشرع لهذا المقصد، فهو نص في حرمة هذا المقصد بل يصح الاستدلال به على أنه كبيرة من الكبائر، خلافًا لمن جعله من المكروهات.

قال الزيلعي في نصب الراية (٣/٢٤٠): «واعلم: أن المصنف استدل بهذا الحديث على كراهة النكاح المشروط به التحليل، وظاهره يقتضي التحريم، كما هو مذهب أحمد».

الثانية: الاستدلال به على بطلان نكاح التحليل، وهي المسألة التالية.

قال الحافظ في التمييز (٥/٢٣٢٠): «استدلوا بهذا الحديث على بطلان النكاح: إذا شرط الزوج أنه إذا نكحها بانت منه. أو شرط أن يطلقها، أو نحو ذلك. وحملوا الحديث على ذلك، ولا شك أن إطلاقه يشمل هذه الصورة، وغيرها».

وقد استدل به أيضًا على صحة النكاح، قال الزيلعي في نصب الراية (٣/٢٤٠): «ولكن يقال: لما سماه محللاً دل على صحة النكاح، لأن المحلل هو المثبت للحل، فلو كان فاسدًا لما سماه محللاً».

وهذه طريقة من طرق الحنفية في التمييز بين الشرط الفاسد الذي يهدر فلا يعتبر ولا يبطل العقد، والشرط الباطل الذي يبطله. وسيأتي ما في هذه المسألة في مسألة حكم نكاح التحليل.

ولماذا لم يعتبر الشرع هذا المقصد؟

والجواب: أن هذا العقد فيه مفسدتان:

الأولى: أنه عقد مؤقت بوصف وهو الدخول الصحيح بالمرأة، فإذا تم هذا الدخول طلق المحلل المرأة إما بالشرط الذي تواطأ عليه مع أحد الزوجين أو بقصده منفردًا من هذا الزواج إن لم يتواطأ عليه، فهو نكاح شرط انقطاعه دون غايته، فأشبه نكاح المتعة المؤقت الذي ينقضي عقده بانتهاء الإجارة على الاستمتاع، وقد خالف بذلك مقاصد الشرع من الزواج.

الثاني: أنه حيلة يُراد منها إسقاط الشرط الشرعي المنصوص عليه في قوله تعالى: «فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ»، فهو يريد بهذه الحيلة تغيير الحكم الشرعي بسبب لم يأذن فيه الشرع، بل لعن صاحبه ولعن المتواطئ معه عليه.

(ينظر: بيان الدليل على بطلان التحليل، لابن تيمية (ص ٣٢)، وشفاء العليل في اختصار إبطال التحليل، للبعلي (ص ٢٥)).

هذا ما يسره الله في هذا المقال، وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى.

التربية الإيمانية في القرآن الكريم
مناهجها وأهدافها

إعداد د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله؛ والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد؛ فإننا نؤمن إيمانًا يقينيًا ونجزم جزمًا قاطعًا بأنه لا توجد أمة من الأمم منذ نشأة البشرية وإلى يوم القيامة امتلكت كتابًا هاديًا أتم لها دينها وأكمل لها شريعتها ونظم شؤون دينها ودنياها وجاءت أحكامه وفق منهج محكم وحكيم يصلح لكل زمان ومكان، مثل أمة الإسلام التي أنزل الله على رسولها محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم، وهذه عقيدة المؤمن وهي حقيقة واقعية وعملية يعرفها كل مُنصف تجرد من عصبيته الممقوتة، وأفسح المجال لعقله أن يفهم ويعي حقائق الماضي عن بصر وبصيرة؛ ليكشف عما سترته الأقوال الباطلة والآراء العابثة والنظريات الفلسفية الماجنة والأكاذيب المضللة من أثر القرآن الكريم في إصلاح الفرد وبناء الأمة القوية الفاضلة ليصل إلى نتيجة ضرورية وحتمية، وهي أن تمسك الأمة الإسلام بالقرآن الكريم والعمل به في كل مناحي حياتها هو السبيل الوحيد للخروج من أزمتها الأخلاقية والباعث لنهضتها العامة في التعليم والإعلام والثقافة والأسرة والمجتمع، وهو مصدر قوتها وسر تقدمها وازدهارها وسبب عزتها وتحقيق كرامتها ونصرتها.

لا يماري في ذلك إلا الجاهل الجاحد الضال المضل الأثيم، حتى وإن كان ينتسب إلى الإسلام بحكم الولادة والجغرافيا: فقد خلق الله شذوذ الآراء كما خلق سموم الطعام، وحرية الرأي الشاذ كحرية ابتلاع السم، وأوجد الخير والشر للاختبار لا للاختيار، فإذا شذّ برأيه في كون القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم في كل شيء من أمور الدين والدنيا، فلا يضر إلا نفسه.

يقول أندريا موروا في كتابه: «انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية»: «من أهم الأسباب التي أدت إلى انهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسي نتيجة انتشار الرزيلة بين أفراده، وأحست اليابان الحديثة عندما قطعت شوطًا في الحضارة والتقدم، بأن شبابها بدأ يميل إلى اللهو والعبث ويتجه إلى الرزيلة والكسل. فكيف عالجت المشكلة؟، لم تتجه إلى الشرق والغرب لتستورد منهما الحلول، ولم تتجه إلى علم النفس؛ لأن نظرياته متقلبة متباينة، ولم تلجأ إلى حلول المخمورين والمتهوسين والعلمانيين؛ بل لجأت إلى دينها الذي تؤمن به مباشرة باعتباره عاملاً مهمًا من عوامل التوجيه والقوة؛ فأصدرت القوانين بألا يوظف شاب في وظيفة عامة إلا بعد أن يدخل المعبد ويمارس فيه رياضة روحية عنيفة، ويستوعب من الكهنة تعاليم «بوذا».

فإن كانت اليابان قد استعانت بتعاليم «بوذا» ظنًا منها أنها الأنفع في الحفاظ على شبابها، والأنجح في تأسيس نهضتها الحديثة؛ فالواجب على الدول الإسلامية العمل بمنهج الإسلام وهديه في كل مناحي حياتهم، والاهتمام بمصدر دين الإسلام الأول وهو القرآن الكريم، فليس في تعاليم «بوذا» أو غيره ما في القرآن الكريم من أحكام حكيمة وتعاليم هادية، ومناهج تربوية راقية ومبادئ قويمة تؤسس لبناء الفرد والمجتمع تأسيسًا سليمًا ودقيقًا وضع بعلم الله اللطيف الخبير.

إن انهيار الأمم في ساحة الحرب، وانهيارها في ميدان الحياة مرده إلى الرزيلة والترف والفسوق والفجور والانحلال الأخلاقي، وانتاج الإباحية في مجتمعاتهم. والقرآن الكريم يؤكد هذه النظرية بقوله تعالى: (وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا) (سورة الإسراء: ١٦). الإنسان صنع الله وحده، وهو أعلم به من نفسه التي بين جنبيه. هو أعلم بما يصلحه، وما يفسده: ما يصلحه في دينه وقلبه وعقله وخلقه. وما يصلحه لأمر آخرته. وما يقربه من رضوان الله، ويسمو به إلى مصاف الأبرار والمقربين، وهو أعلم بما يصلحه لشؤون الدنيا التي هي مزرعة الآخرة، وبما يصلح جسمه وقواه التي بها يكون قادرًا لأداء رسالته التي من أجلها خلقه الله، وهي إخلاص العبادة وعمارة الكون والولاء لله وحده والبراء من كل من يكفر به (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ) (الذاريات من ٥٦ -٥٨).

نعم هو أعلم بما يصلحه في شؤونه، وهو أعلم بما يفسده في شؤونه كلها، والإيمان بهذا العلم مسلم بداهة، لتوافق دليل النقل وحكم العقل عليه قال تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) الملك: ١٤. إن كل صانع أعلم بصناعته، والإنسان صنع الله فهو وحده أعلم بما يصلحه وما يفسده، وهو وحده أعلم بكل أحواله وبما دقت وخفيت: (وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ) (البقرة: ٢٢٠).

الله الذي خلق كل شيء، وخلق الإنسان. جعل فيه جانبين متحاورين في فطرته: الأول جانب إيماني معنوي، والثاني جانب مادي حسي، وخلق لكل شيء من هذين الجانبين غذاءً يرعاه وينميه. وان شئت فقل: جانب الروح وجانب الجسم، وغذاء الجسم يمده بالبقاء والسلامة من الأمراض والعلل. وغذاؤه ما أنزله الله من السماء، وجعل فيه للإنسان منافع شتى ثم سلكه ينابيع في الأرض ليكون في خدمة الإنسان أين يكون: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢٢).

وغذاء الجسم لما كان الميل إليه وتناوله غريزة في طبيعة الإنسان، يحتاج إليه كلما أحس بالخواء أو العطش، لا ترى في القرآن إلحاحًا على تناوله، فليس فيه أمر به على سبيل الوجوب، بل كل ما ورد من الأمر به هو للإباحة فحسب؛ لأن الشهوات الغريزية الميالة إليه قامت فقام الأمر الوجوبي؛ لأن الإنسان بطبعه حريص كل الحرص على الانتفاع به. فالله عز وجل اكتفى بخلقها ووفرتها بين أيدي الناس، ثم تركها للعرض والطلب، لكنه نهى عن الضار منها بسلامة الناس، في المأكول والمشروب فيها. فحرم أكل الميتة والدم المسفوح من بهيمة الأنعام بعد ذبحها أو نهرها؛ لأن الميتة يكون لحمها فاسدًا بآكليه، والدم المسفوح دم كله سموم قاتلة، وهذا هو السر في تحريم أكل الميتة؛ لأن هذا الدم يكون بكل ما فيه من سموم، يظل قارًا في لحم الميتة، أما المذكاة زكاة شرعية فيخرج منها هذا الدم بتدبير من عند الله عقب الذبح أو النحر مباشرة. وكذلك لحوم الخنازير حرم الله أكلها بسبب ما في لحومها من ضرر يُفسد جسم الإنسان.

هذا بعض ما حرم الله أكله من المطعومات، أما المشروبات فتأتي على رأس المحرمات منها الخمر؛ لأنها أم الخبائث وتدعو إلى الموبقات وتفسد الجهاز العصبي، كما أنها تصيب الكبد بالعلل القاتلة. هذا كله عناية من الله تعالى يحفظ به سلامة الأجسام؛ لأنها إذا تعرضت لهذه «المتلفات» عجزت عن العمل عجزًا كليًا أو بعضيًا، والعقل السليم لا يكون إلا في الجسم السليم، ومن صح بدنه صح فكره وعمله.

غذاء الجانب الإيماني:

أما غذاء الجانب الإيماني أو الروحي فشيء مختلف تمامًا عن غذاء الجسم؛ هو شيء مختلف عن حقيقته ومصدره، وشيء مختلف في طبيعته، وشيء مختلف من حيث وروده في القرآن الكريم؛ مختلف في حقيقته، لأنه ليس طعامًا يُؤكل ويُستهلك في حقبة من الزمن، يستحيل خلالها إلى كائن آخر قذر، تقزز منه النفوس وتنفر عنه الطباع. ولا هو سائل يشرب فتعتريه آفات التغيير كما حدث في مسيرة الطعام وفي حقارتهما، ومختلف في مصدره، غذاء الجسم مصدره الأرض وغذاء الروح مصدره السماء أنه وحي الله الأمين. الذي أبى الله إلا أن يسميه روحًا كما جاء في قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) الشورى: ٥٢.

وما أعظم الفروق بين ما مصدره الأرض وما مصدره السماء وهو غذاء لا يستهلك ولا يتعفن ولا تعتريه عوامل التغيير، ولا تترتب عليه تخمة ولا ثقل ولا علل ولا أمراض؛ لأنه نور لطيف يهدي للتي هي أحسن ومختلف من حيث وروده في القرآن؛ فغذاء الجسم، أو ما مصدره مع صلته بغذاء الروح لأنه يحمل سمتين من سمات القدرة والإرادة الإلهية كما قال ابن رشد في كتابه: «فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» يحمل سمتين هما: الاختراع يعنى أن الله خلق عناصره من العدم المحض لم يقلد فيه أحدًا، ولا لأحد عليه قدرة. والعناية: يعنى أن الله خلقه موافقًا لاحتياجات الناس ومنافعهم، لم يخلق شيئًا منه عبثًا، وانما خلقه لمنافع الخلق كما قال سبحانه: (مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) عبس: ٣٢.

هذا الغذاء المادي للجسم إذا قورن بالغذاء الإيماني الروحي، أو التربية الإيمانية الروحية من حيث ذكره في القرآن الكريم نجد البون شاسعًا بين ذكر كل منهما في القرآن؛ فالغذاء المادي الجسمي لا يحتل مساحة واسعة في كتاب الله، بينما الغذاء التربوي الإيماني لم تخل من ذكره سورةٌ حتى قصار السور.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن القرآن يخضع حديثه عن الغذاء المادي الجسمي على دلائل الإيمان، وعلى التذكير بفضل الله تعالى على عباده ليكون ذلك من العوامل المساعدة على تحقق التربية الايمانية عند الناس، اقرأ معي قول الحق جل في علاه: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)

عبس: من ٢٤ - ٣٧.
بعد أن لفت الأذهان إلى أفانين النعم مشيرًا إلى أثر قدرة الله فيها، ثم قصر هذه النعم على المتاع العاجل في الحياة الدنيا، عاد فذكر شيئًا من أهوال الآخرة، وقطع كل ما كان بينهم من علاقات كانت في الدنيا حميمة حتى بين أقرب القرابات.

يعني أن القرآن وظّف الحديث عن النعم العاجلة «غذاء الجسم المادي» في مجالين:
الأول: من حيث إنها نعم لمصالح الناس في هذه الحياة الدنيا. الثاني: من حيث إنها عناصر فعّالة في مجال التربية الإيمانية التي هي المقصود الأعظم من وحي الله إلى الناس.

أما التربية الإيمانية فالقرآن الكريم كله منهج تربوي روحي بلغ اهتمامه في هذا الجانب شأوًا عظيمًا؛ ذلك لأن كثيرًا من حقائق الإيمان إما مكفور بها وإما مزهود فيها، وإما منصرف عنها مستهان بها فهي موضع ضياع عند قطاعات واسعة من الناس.

ولأنها أمور غيبية غير مدركة للحواس الخمس بعضها آجل لا عاجل كانت موضع جدل وأخذ ورد عند كثير من الناس.

وجاءت العلمانية أو الفلسفة الوضعية في مطلع العصر الحديث، وأوهمت الناس بأن ما لا يُدرَك بالحواس الخمس وَهْمٌ لا وجود له.

الخطوة الأولى في التربية الإيمانية الروحية:

ومن حكمة الله البالغة، أن مهّد للتربية الإيمانية الروحية، القائمة على كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» بخطوة تمهيدية لتمكين هذه التربية وإخلاص القلب والعقل لها. وهذه الخطوة تتكون من عدة شعب، تؤدي إلى حقيقة واحدة هي: تحرير الإنسان من الخوف من غير الله، وإلغاء كل ما عداه من الخلق سواء كان ملكًا أو إنسانًا أو شيطانًا؛ لأن هذا التحرير يخلّص هذا الإنسان لربه: عبادةً وولاءً ورجاءً ورهبةً. أما الشعب التي تحقق هذا «الإخلاص»؛ فمنها: لا نافع ولا ضار إلا الله، ولا يمكن لمخلوق مهما كان أن ينفع أو يضر غيره بغير ما قدّر الله له، أو كتب عليه.

وفي ذلك جاء قول الحق تبارك وتعالى: (قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ) التوبة: ٥١، فحظ الإنسان من الخير والابتلاء أمر محسوم في علم الله، ولا يملك أحد تغييره أو تبديله، فعلام نخاف أو نرجو غير الله؟

(١) تأمين الآجال «الأعمار» فلن تموت نفس إلا بإذن الله، فإن لم يأذن الله فلا موت وإن تظاهر عليه أهل الأرض جميعًا. (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا) آل عمران: ١٤٥. وإذا جاء أجل نفس نفذ في الحال، لا يستطيع أحد دفع الموت عنها مهما أوتي من قوة (وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا) (سورة المنافقون: ١١).

(٢) ضمان الرزق من أساسيات الحياة: حصول الإنسان على رزقه، ولم يخلق الله أحدًا، إلا وضمن له رزقه، ولم يجعل رزق أحد على أحد: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) (هود: ٦).

(٣) نسبة كل ما يصيب الإنسان من خير أو غيره إلى الله عز وجل: (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ) الحديد: ٢٢.

هذه الشعب سيقت كما قلنا لتحرير الإنسان من الخوف أو الرجاء من غير الله، فكل من على وجه الأرض ليس بقادر على أن ينفع غيره أو يضره إلا بما كتب الله له أو عليه. فالنافع والضار هو الله، ونفعه وضره يجريهما وفق مقتضى الحكم الإلهية. وحين تتمكن هذه العقيدة في قلب الإنسان ووجدانه يتحرّر من الخوف والرجاء من كل ما عدا الله تثمر فيه التربية الإيمانية الروحية، بدون أي عُقد أو عوائق؛ لأنه لا يوالي إلا الله ولا يرجو إلا الله، ولا يخشى أحدًا إلا الله.

وللحديث بقية عن مناهج التربية الإيمانية وأهدافها في القرآن الكريم.
والله الموفق والمستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

إجابة الله دعاء المضطرين والمكروبين

قال الله تعالى: « أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » (النمل: ٦٢).

من أقوال السلف

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "أجمع المسلمون أن مَن استبانت له سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لم يكن له أن يَدَعها لقول أحدٍ من الناس" (إعلام الموقعين ج٢ ص٢٨٢).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَى الله عليه وسلَم يقول: "من سرَه أن ينجَيه الله من كرب يوم القيامة فلينفَس عن معسر، أو يضع عنه" (صحيح مسلم).

حكم ومواعظ

قال الربيع بن خُثيم رحمه الله: "تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا. قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب ثم لا تعود" (سير السلف الصالحين).

من دلائل النبوة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: إن دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله. فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة (أي العِزق) حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قال ارجع فعاد فأسلم الأعرابي. (سنن الترمذي).

إعداد : علاء خضر

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «دعوات المكروب: اللهمَ رحمتك أرجو؛ فلا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ، وأصلح لي شأني كلَه، لا إله إلا أنت" (سنن أبي داود).

من عقائد الشيعة المبتدعة

من الأقوال التي تخالف فيها الشيعة عقيدة المسلمين قولهم: بأن كربلاء أقدس بقعة في الإسلام، وأعظم من مكة والمدينة وبيت المقدس. (كتاب مصابيح الجنان ص٣٦٠).

من حكمة الشعر

قالوا في وصف الدنيا واغترار الناس بها:

إذا امتحن الدّنيا لبيبٌ تكشّفت
له عن عدوٍّ في ثياب صديق
وما الناس إلّا هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين عريق

(العقد الفريد)

من معاني الأحاديث

«لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً» قد تكررت هاتان اللفظتان في الحديث، فالصرف: التوبة. وقيل النافلة. والعدل: الفدية. وقيل الفريضة. (النهاية لابن الأثير).

من فضائل الصحابة

فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

عن أبي إدريس الخولاني قال: لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن حمص ولى معاوية. فقال الناس: عزل عميرًا وولى معاوية؛ فقال عمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم اهْدِ به" (سنن الترمذي).

حجاب المرأة المسلمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نستكمل الحديث عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم. وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن والسنة، والآثار عن الصحابة ومن بعدهم، وقد وقفت على دليلين من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، أضيفهما إلى أدلة السنة، قبل ختام البحث.

إعداد **د. متولي البراجيلي**

(١) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو: الموت (متفق عليه).

(الحمو: هم أقارب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن أخته وعمه وأبناء عمه، ونحوهم ممن يحل للزوجة أن تتزوجه إن لم تكن متزوجة).

يقول الشيخ الشنقيطي مستدلاً من الحديث: فهو دليل واضح على منع الدخول عليهن، وسؤالهن متاعًا إلا من وراء حجاب؛ لأن من سألها متاعًا لا من وراء حجاب فقد دخل عليها. (انظر أضواء البيان ٦/٢٤٨- ٢٤٩).

ويقول الشيخ البوطي: فلولا أن المرأة بمجموعها عورة بالنسبة للرجال الأجانب لما أطلق النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن دخولهم عليهن (انظر إلى كل فتاة تؤمن بالله: ص٤١).

القرائن حول الحديث:

١- بوب الإمام البخاري للحديث: باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة.

٢- في صحيح مسلم باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

٣- بوَب ابن حبان: ذكر الزجر عن الدخول على النساء ولا سيما الحمو.

٤- بوَب البغوي في شرح السنة: باب النهي عن أن يخلو الرجل بالمرأة الأجنبية. فالنبي صلى الله عليه وسلم ينهى الأقارب الذين ليسوا من محارم

الزوجة على التأبيد أن يدخلوا عليها، وذلك من باب سد الذرائع؛ خوفًا من الوقوع في الفاحشة إذا خلا الرجل بالمرأة. فليس في الحديث ما يدل على تغطية المرأة لوجهها أو عدم تغطيته.

(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تباشر المرأةُ المرأةَ فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها" (صحيح البخاري).

استدل الشيخ التويجري من الحديث على وجوب تغطية المرأة لوجهها، وقال عنه: دليل على احتجاب النساء عن الرجال الأجانب، وأنه لم يبق للرجال سبيل إلى معرفة الأجنبيات من النساء إلا من طريق الصفة- أي الوصف- أو الاغتفال (غفلة المرأة) ونحو ذلك، فدل ذلك على أن نظر الرجال إلى النساء غير المحارم ممتنع في الغالب، من أجل احتجابهن عنهم، ولو كان السفور جائزًا، لما كان الرجال يحتاجون إلى أن تنعت لهم الأجنبيات من النساء بل كانوا يستغنون بنظرهم إليهن، كما هو معروف في البلدان التي فشا فيها التبرج والسفور (انظر الصارم المشهور ص ٩٥).

القرائن حول الحديث:

١- لا تباشر المرأة المرأة: هل النهي عن المباشرة في الحديث، يحمل على وصف الوجه فقط أم يحمل على معنى أوسع من ذلك؟ فلا شك أن المباشرة أوسع من النظر إلى الوجه فقط، بدليل القرائن التالية.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يباشر الرجل الرجل، ولا المرأة المرأة" (أخرجه ابن حبان وقال الألباني صحيح لغيره في التعليقات الحسان).

وقد استدل الإمام مالك من الحديث بعدم جواز تعري النساء بين بعضهن البعض (انظر فتح الباري لابن رجب ٣/٣٦٥- ٣٦٧).

٣- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد (صحيح سنن الترمذي).

٤- وقال ابن الجوزي: ولا تباشر المرأة المرأة: كأن المباشرة هاهنا مستعارة من التقاء البشرتين للنظر إلى البشرة. فتقديره: تنظر إلى بشرتها... (انظر كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/٢٩٩).

٥- لا تباشر المرأة المرأة في الثوب الواحد (رواية النسائي). قال الحافظ ابن حجر مستدلاً من الحديث: ومما تعم به البلوى ويتساهل فيه كثير من الناس الاجتماع في الحمام، فيجب على من فيه أن يصون نظره ويده وغيرهما عن عورة غيره، وأن يصون عورته عن بصر غيره (انظر فتح الباري لابن حجر ٩/٣٣٨- ٣٣٩).

خاتمة البحث:

انتهيت بفضل الله تعالى مما وقفت عليه من الأدلة التي تتعلق بحجاب المرأة سواء من القرآن أو السنة أو الآثار الواردة عن الصحابة ومن وبعدهم، وقد تكلمت عن كل دليل وأثر من هذه الأدلة والآثار باستفاضة.

مذكرًا بأني في البحث أقصد السياق بمفهومه الواسع:

١- النصوص السابقة واللاحقة لما يراد وبيانه وتأويله، والنصوص الأخرى المتعلقة بالمسألة موضع البحث.

٢- مقاصد التشريع.

٣- أسباب نزول الآيات، وأسباب ورود الحديث، وأحوال المخاطبين، وظروف القول.. إلى غير ذلك.

وأن السياق-بمفهومه الشامل- يجعلنا ننظر إلى النصوص نظرة كلية مستوعبة فلا نأخذ نصًا ونترك نصًا، أو نأخذ نصًا

ونترك ما يحيط به من قرائن متعددة. فالسياق كما يقول ابن القيم "من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته" (انظر بدائع الفوائد ٤/١٠٩).

وقد قسمت أنواع السياق إلى قسمين كبيرين؛ هما: **أولاً: قرائن السياق الخاصة**، التي تنقسم إلى

١- قرائن لفظية: متصلة بالنص، منفصلة عن النص.

٢- قرائن غير لفظية (حالية)، متصلة بالخطاب، منفصلة عن الخطاب، أسباب نزول الآيات، أسباب ورود الأحاديث، بيئة الخطاب المحتملة في عادات المخاطبين في أقوالهم وأفعالهم ومعهودهم في معاني الألفاظ .... وغير ذلك.

ثانيًا: قرائن السياق العامة:

وهذه تنقسم إلى أقسام متعددة، منها ١- المقاصد الشرعية ٢- المصلحة المرسلة ٣- اعتبار المآلات ٤- الكليات العامة ٥- عدم التعارض بين النصوص.... إلى غير ذلك، وقد قمت باستعمال هذه القرائن وغيرها في ما وقفت عليه من الأدلة حول الحجاب، بعد أن قسمت الأدلة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: الأدلة من القرآن. القسم الثاني: الأدلة من السنة. **القسم الثالث: الأدلة من الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.**

وبعد نهاية البحث ألخص ما توصلت إليه فيما يلي:

أولا: أدلة القرآن:

١- قوله تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (النور: ٣١). الدليل في الآية (إلا ما ظهر منها) ليس قطعيَ الدلالة، بمعنى أنها ليست نصًا قاطعًا له معنى واحد محدد، لا يسوغ الاختلاف فيه، ولذلك اختلف أهل العلم في توجيه معناها.

٢- قوله تعالى: (وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النور: ٦٠)؛ الآية ليست نصًا في وجوب النقاب أو عدم وجوبه، وانما هي موجهة بالأصل إلى القواعد من النساء اللواتي أذن الله تعالى لهن في تخفيف بعض ثيابهن على أن لا يكون بغرض التبرج والتزين وأن الاستعفاف خير لهن.

٣- قوله تعالى (يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ) (الأحزاب ٣٢، ٣٣).

وان كانت الآيات مسبوقة ومتبوعة بالخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيها عموم النساء من باب أولى، لكن ليس في الآيات دليل قطعي على وجوب ستر الوجه والكفين، بل هي دليل على الحجاب وعدم التبرج.

٤- قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) (الأحزاب:٥٣). الآية تتوجه بالخطاب أصالة إلى أمهات المؤمنين مع وجوب الحجاب الكامل بما في ذلك ستر الوجه والكفين، والاستدلال منها على وجوب ستر الوجه والكفين لغير أمهات المؤمنين غير مباشر (استنباطي) من باب القياس، بجامع العلة وهي طهارة القلوب، فيستدل بعموم العلة (طهارة القلوب) على عموم الحكم (تغطية الوجه والكفين وسائر الجسد)، ولم يسلم القياس هنا فقيل لا تلازم بين ستر الوجه وطهارة القلب، فطهارة القلب تتحقق بالتقوى وغض البصر والانتهاء عن ما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فالاستدلال من الآية بهذه العلة غير قطعي ومحل للنزاع.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

صلاح الحال وراحة البال

إعداد الشيخ: صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعد:

فلا شك أننا جميعاً نبحث على صلاح الحال وراحة البال لكن أين نجده؟ وأين الطريق إليه؟ هذا ما نحاول الحديث حوله إن شاء الله.

أولا: معنى صلاح الحال والبال:

١- صلُح الشَّخصُ: فضُل وعفَّ، استقام وأدَّى واجباته.

قال تعالى: «رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ» (غافر:٨). أصلح الشَّخصُ من أمره: حسَّنه، رجع عن الخطأ. (معجم اللغة العربية المعاصرة (١٣١٢/٢).

٢- صلاح البال: البَالُ: بمَعْنَى القَلْب، يُقَالُ: مَا يَخْطرُ فُلَانٌ عَلَى بَالي، أَيْ: عَلَى قَلْبِي. وَالبَالُ رَخَاءُ النَّفْسِ، وَالبَالُ: الحَالُ. (تفسير القرطبي: ٢٢٤/١٦).

- راحة البال: طمأنينة النَّفس، خلوّ من الهمّ. معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٦٤/١).

٣- «وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح ثوابهم، بتنميته وتزكيته، وأصلح جميع أحوالهم. (تفسير السعدي ٧٨٤/١).

ثانيا: من فضائل صلاح الحال وراحة البال:

١- صلاح الأعمال وقبولها: قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» (الأحزاب: ٧٠- ٧١). «يُصْلِحْ

لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ» أي: يكون ذلك سببًا لصلاحها، وطريقًا لقبولها؛ لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» ويُوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال بحفظها عما يفسدها، وحفظ ثوابها ومضاعفته. (تفسير السعدي (١/٦٧٣).

٢- الهداية والتوفيق: قال تعالى: «سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ» (محمد: ٥)، «سَيَهْدِيهِمْ» أي: سيهديهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، بتوفيقهم إلى العمل الصالح. (صفوة التفاسير ٣/١٩٢).

٣- الطمأنينة والسعادة: قال تعالى: «وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» (محمد: ٢)؛ إصلاح البال نعمة كبرى تلي نعمة الإيمان في القدر والقيمة والأثر، والتعبير يلقي ظلال الطمأنينة والراحة والثقة والرضى والسلام. ومتى صلح البال، استقام الشعور والتفكير واطمأن القلب والضمير، وارتاحت المشاعر والأعصاب، ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام وماذا بعد هذا من نعمة أو متاع؟.

٤- محو السيئات: قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» (محمد: ٢)؛ «كفَّرَ» الله «عَنْهُمْ سَيِّئَاتهِمْ» صغارها وكبارها، وإذا كفرت سيئاتهم نجوا من عذاب الدنيا والآخرة.(تفسير السعدي ١/٧٨٤).

٥- دخول الجنات: قال تعالى: «سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ» (محمد: ٥-٦). أي: ويدخلهم الجنة دار النعيم بيَّنها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي إليه. قال مجاهد: يهتدي أهلُها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم سكنوها منذ خُلقوا. وفي الحديث عن أَبي سَعِيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» صحيح البخاري (٦٥٣٥). (صفوة التفاسير (٣/١٩٢).

ثالثًا: من شروط صلاح الحال وراحة البال:

أصلح من نفسك أولاً: قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» (الرعد: ١١). وذلك عن طريق الآتي:

١- تقوى الله تعالى والقول السديد: قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠-٧١).

القول السديد: هو القول الصادق الصحيح الخالي من كل انحراف عن الحق والصواب، مأخوذ من قولك: سدد فلان سهمه يسدده، إذا وجهه بإحكام إلى المرمى الذي يقصده فأصابه. أي: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وراقبوه وخافوه في كل ما تأتون وما تذرون، وفي كل ما تقولون وما تفعلون، وقولوا قولاً كله الصدق والصواب. فإنكم إن فعلتم ذلك يُصْلِحْ الله- تعالى- لَكُمْ أَعْمالَكُمْ. التفسير الوسيط للشيخ طنطاوي (١١/٢٥٢).

٢- الإيمان بالله وكثرة الأعمال الصالحة: قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» (محمد: ٢). وأما «وَالَّذِينَ آمَنُوا» بما أنزل الله على رسله عمومًا، وعلى محمد صلى الله عليه وسلم خصوصًا، «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»: بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله، وحقوق العباد الواجبة والمستحبة: «كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» والسبب في ذلك أنهم: «اتبعوا الحق» الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصادر «مِنْ رَبِّهِمْ» الذي رباهم بنعمته، ودبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه، فصلحت أمورهم. (تفسير السعدي: ١/٧٨٤)

٣- كثرة الدعاء ومنها:

أ- الدعاء بصلاح الحال بعد كل صلاة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي،

واجْعَل الحَياةَ زِيادَةً لي في كُلِّ خَيرٍ، واجْعَل الموْتَ راحَةً لي منْ كُل شَرٍّ" صحيح مسلم (٢٧٢٠). قالَ كَعبٌ: إنَّ صُهَيبًا حَدَّثَهُ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم كانَ يَقولُهُنَّ عِنْدَ انْصرافه منْ صَلاته. السنن الكبرى للنسائي (١٢٧٠)، جامع الأصول (٢٢٠٦) بإسناد حسن

(دِيني الَّذي هُوَ عِصْمَةُ أَمْري) مَعْناهُ: أَنَّ الدِّينَ حافِظُ جَميعِ أُموري فإنَّ مَنْ فَسَدَ دينُهُ فَسَدَتْ جَميعُ أُمورِه وخابَ وخَسرَ (وَأَصْلحْ لي دُنْيايَ) أَيْ مَنْ يُعينُني عَلى العبادَة (الَّتي فيهَا مَعاشي) مَعْناهُ: احْفَظْ منَ الفَسادِ ما أَحْتاجُ إلَيه في الدُّنْيا (وَأَصْلحْ لي آخرَتي الَّتي فيهَا مَعادي) أَيْ وَفِّقْني للطَّاعَة الَّتي هيَ إصْلاحُ مَعادي (وَاجْعَل الحَياةَ زيادَةً) أَيْ سَبَبَ زيادَةٍ (لي في كُل خَيْرٍ، وَاجْعَل الموْتَ راحَةً لي منْ كُل شَرٍّ) أَيْ بِأَنْ يَكُونَ عَلى شَهادَة واعْتقاد حَسَنٍ وتَوْبَةٍ، حَتَّى يَكونَ مَوْتي سَبَبَ خَلاصي عَنْ مَشَقَّة الدُّنْيا وَحُصُول راحَةٍ في العُقْبى. مرقاة المفاتيح (١٧٢١/٥) رقم (٢٤٨٣).

ب- الدعاء بصلاح الحال في الصباح والمساء:

- عن أَنَس بْنَ مَالك قال: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لفاطمَةَ "ما يمْنَعُك أنْ تَسْمَعي مَا أوصيك به أنْ تَقولي إذا أَصْبَحْت وأَمْسَيْت: يَا حَيُّ يا قَيُّومُ بِرَحْمَتكَ أَسْتَغيثُ أَصْلحْ لي شَأْني كُلَّهُ، وَلا تَكلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ" شعب الايمان (٧٤٦)، صحيح الجامع (٥٨٢٠).

ج- الدعاء بالصلاح عند العطس:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإذا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْديكُمُ اللهُ وَيُصْلحُ بَالَكُمْ "رواه البخاري (٦٢٢٤).

- إذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ، العطس نعْمَةٌ، فَيُسَنُّ عَقيبَهُ الحَمْدُ للهِ (وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ) أَيْ: في الإسْلام (يَرْحَمُكَ اللهُ)، (فَإنْ قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ) أَيْ: العَاطسُ في جَوابه (يَهْديكُمُ اللهُ وَيُصْلحُ بَالَكُمْ) أَيْ: شَأْنَكُمْ وَحالَكُمْ؛ لأَنَّهُ إذا دَعا لَهُ بالرَّحْمَة شرعَ في حَقِّه دُعاءُ بالخَيْر لَهُ تَأْليفًا للقُلُوب. مرقاة المفاتيح (٢٩٨٦/٧)

د- عند الكرب والهم والغم: وقالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: دَعَواتُ المَكْرُوب « اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلحْ لي شَأْني كُلَّهُ، لا إلهَ إلَّا أَنْتَ. سنن أبى داود (٥٠٩٠) حسنه الألباني.

ويوجههم إلى القول الصالح الذي يقود إلى العمل الصالح؛ فالله يرعى المسددين ويقود خطاهم ويصلح لهم أعمالهم جزاء التصويب والتسديد. والله يغفر لذوي الكلمة الطيبة والعمل الصالح؛ ويكفر السيئة التي لا ينجو منها الآدميون الخطاءون. ولا ينقذهم منها إلا المغفرة والتكفير.

ثالثا: شروط الإصلاح:

قال تعالى: « وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ » (محمد: ٢-٣)

بعد الإنتهاء من الصلاة: حَلَفَ كَعبُ بنَ ماتع بالله الَّذي فَلَقَ البَحْرَ لموسَى إنَّا لَنَجدُ في التَّوْراة أَنَّ داوُدَ نَبيَّ الله صلى الله عليه وسلم كانَ إذا انْصرَفَ منْ صَلاته قالَ اللَّهُمَّ أَصْلحْ لي ديني الَّذي جَعَلْتَهُ لي عصْمَةً وأَصْلحْ لي دُنْيايَ الَّتي جَعَلْتَ فيهَا مَعاشي اللَّهُمَّ إنّي أَعوذُ برضاكَ منْ سَخَطكَ وأَعوذُ بعَفْوكَ منْ نقْمَتكَ وأَعوذُ بكَ منْكَ لا مانعَ لما أَعْطَيْتَ وَلا مُعْطيَ لما مَنَعْتَ وَلا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ منْكَ الجَدُّ قالَ كَعبٌ إنَّ صُهَيبًا حَدَّثَهُ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم كانَ يَقولُهُنَّ عنْدَ انْصرافه منْ صَلاته. السنن الكبرى للنسائي (١٢٧٠)، جامع الأصول (٢٢٠٦) بإسناد حسن.

اللهم أصلح أحوالنا أجمعين.

عناية المفسرين بكلمة التوحيد في أقوالهم التفسيرية

تفسير البقرة وآل عمران

إعداد **حسين إسماعيل الجمل**

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن كلمة التوحيد أساس الإسلام وزبدة الرسالة؛ لذا نرى عناية المفسرين من السلف، رحمهم الله، بهذا الركن الركين فوق كل عناية، والاهتمام به فوق كل اهتمام، ويظهر ذلك جليًا في أقوالهم ومروياتهم التفسيرية، حيث قاموا- شكر الله سعيهم- بتفسير العديد من الآيات القرآنية بكلمة التوحيد، مما يدل دلالة واضحة على اهتمام السلف رحمهم الله بالاتجاه العقدي في التفسير بشكل عام، وبكلمة التوحيد بشكل خاص، ومن ثم أردت أن أبرهن على ذكر أقوالهم التفسيرية بكلمة التوحيد، وما في معناها، وذلك من خلال سورتي البقرة، وآل عمران.

تحديد نطاق البحث:

كان من متطلبات تحقيق هذا الهدف والتدليل عليه أن قمت بتحديد نطاق جمع مادته العلمية في ثلاث مصادر وهي:

١) تفسير عبد الرزاق رحمه الله (ت٢١١هـ).
٢) تفسير ابن جرير رحمه الله (ت٣١٠هـ).
٣) تفسير ابن أبي حاتم رحمه الله (ت٣٢٧هـ).

هذا؛ وقد أستعين ببعض المصادر الثانوية، وغيرها من المصادر مما ستراه مثبتًا بهامش المقال، والله الموفق.

المدخل:

عُنِيَ أئمة التفسير رحمهم الله بالتفسير بكلمة التوحيد، وما في معناها، والتي قالوها من تلقاء أنفسهم، وبما فهموه من مقاصد التنزيل الحكيم، فأردت إبراز هذه العناية من خلال تتبعي لأقوالهم التفسيرية، وعرضها في الأنموذج الآتي، من سورتي البقرة، وآل عمران، وها هي ذا: مرويات أئمة التفسير بكلمة التوحيد:

١) من سورة البقرة

قول الله تعالى: «وَقُولُوا حِطَّةٌ» (البقرة: ٥٨)؛ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: «وَقولوا حطَّة»، قال: «لا إله إلا الله» (أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ١/٢٧١).

وعن عكرمة مولى ابن عباس رحمه الله في قوله: «وَقولوا حطَّة»، يقول: «قولوا: لا إله إلا الله» (أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٥٧)، وابن جرير في تفسيره (١/٧١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١١٨).

قول الله تعالى: «مَنْ آمَنَ بـالله وَاليَوْم الآخِـر» (البقرة: ٦٣)؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعني: مَن وحَّد الله

تفسيره (١/١٢٨، ٢٣٠)، (٦/١٧٦٦).

قول الله تعالى: «وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا» (البقرة: ٨٣)؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «وَقُولوا للنَّاس حُسْنًا»: «أمرهم أن يقولوا للناس حسنًا: أن يأمروا بـ«لا إله إلا الله»، من لم يقلها، ورغب عنها حتى يقولوها كما قالوها، فإن ذلك قربة من الله جل ثناؤه» (أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢/١٩٦).

قول الله تعالى: «طَهِّرَا بَيْتِيَ» (البقرة: ١٢٥)؛ عن

سعيد بن جبير رضي الله عنه: «طَهِّرَا بَيْتِيَ» بـ«لا إله إلا الله» (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٢٨/١).

قول الله تعالى: «مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» (البقرة: ١٢٦): قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعني: من وحد الله، وآمن باليوم الآخر» (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨/١).

قول الله تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» (البقرة: ١٩٣): عن ابن عباس في قوله: «وَيَكُونَ الدِّينُ لله»: «ويخلص التوحيد لله» (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٨/١).

عن قتادة بن دعامة رحمه الله في قول الله عز وجل: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» (البقرة: ١٩٣)، قال: «قول: لا إله إلا الله» (أخرجه الطبراني في الدعاء ١٥٥٨).

قول الله تعالى: «وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» (البقرة: ١٩٣): عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «ويَكُونَ الدِّينُ لله»: «ويخلص التوحيد لله» (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٨/١).

عن قتادة بن دعامة رحمه الله: قوله تعالى: «ويَكُونَ الدِّينُ لله»، أن يقال: «لا إله إلا الله، عليها قاتل نبي الله، وإليها دعا» (أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٩٥/٣).

عن الربيع بن أنس رحمه الله: «ويَكُونَ الدِّينُ لله» يقول: «حتى لا يُعبَد إلا الله، وذلك لا إله إلا الله، عليه قاتل النبي صلى الله عليه وسلم، وإليه دعا» (أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٠١/٣).

قول الله تعالى: «فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» (البقرة: ١٩٣): عن أبي العالية رحمه الله في قوله: «فلا عُدْوَانَ إلا على الظالمينَ»، يعني: على مَن أبَى أن يقول: لا إله إلا الله» (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٨/١).

عن عكرمة مولى ابن عباس رحمه الله في هذه الآية: «فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» (البقرة: ١٩٣)، قال: «هم من أبى أن يقول: لا إله إلا الله» (أخرج ابن جرير في تفسيره (٣٠٣/٣)، والطبراني في الدعاء (١٥٥٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٣٤/٣).

عن قتادة بن دعامة رحمه الله: «قوله: «فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ»، والظالم الذي أبَى أن يقول: لا إله إلا الله» (أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠٢/٣).

قول الله تعالى: «فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ» (البقرة: ٢٥٦): عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «فقد استَمسَك بالعُروَةِ الوُثقَى» قال: «لا إله إلا الله» (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩٧/٢)، والطبراني في الدعاء (١٥٦٥).

عن سعيد بن جبير رحمه الله قوله: «فقد استَمسَك بالعُروَةِ الوُثقَى» قال: «لا إله إلا الله» (أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥٦٠/٤)، والطبراني في الدعاء (١٥٦٦، ١٥٦٧).

وعن الضحاك بن مزاحم رحمه الله قوله: «فقد استَمسَك بالعُروَةِ الوُثقَى» قال: «لا إله إلا الله» (أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥٦٠/٤).

٢) من سورة آل عمران

قول الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ» (آل عمران: ٩): عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قول الله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ» (آل عمران: ٩)، قال: «ميعاد من قال: لا إله إلا الله» (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٢/٢)، والطبراني في الدعاء (١٥٥٧).

قول الله تعالى: «تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ» (آل عمران: ٦٤): عن أبي العالية رحمه الله: «تعالَوا إلى كلمَة سَواءٍ» قال: «لا إله إلا الله» (أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٧٨/٥)، والطبراني في الدعاء (١٥٦٠).

عن مجاهد بن جبر رحمه الله: «تعالَوا إلى كلمَة سَواءٍ» قال: «لا إله إلا الله» (أخرجه ابن المنذر في تفسيره (٢٣٧/١).

قول الله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا» (آل عمران: ١٠٣): عن أبي العالية رحمه الله: «واعتَصموا بحَبل اللهِ جَميعًا»، قال: «بلا إله إلا الله، كونوا عليها إخوانًا، ولا تفرقوا، ولا تعادوا» (أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦٤٧/٥)، وابن المنذر في تفسيره (٣١٦/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٤/٣)، والطبراني في الدعاء (١٥٦٩).

قول الله تعالى: «تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» (آل عمران: ١١٠): عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: «تَأمُرُون بالمعْروف» يقول: «تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، ويقاتلونهم عليه، ولا إله إلا الله أعظم المعروف» (أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦٧٦/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣٣/٣)، والطبراني في الدعاء (١٥٤٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦).

وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تطاول الأقزام على خير الأنام

إعداد

محمد محمود فتحي

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد:

فإنه لا يخفى على العقلاء أن الحملة الشرسة التي توجه للإسلام ليست وليدة اليوم، بل هي حرب ضروس بدأت مع عصر النهضة الأوربية في القرن السادس عشر، ومازال أوارها مشتعلًا إلى الآن، فالنهضة الأوربية أفاقت من سباتها الطويل لتغزو العالم وتستعمر الشعوب بسلاح القوة والتدليس والخداع، بيد أنه في تلك الفترة بدأت تظهر بوادر الغفلة داخل ديار الإسلام، وأصبحت تعاني من التقطع والانقطاع الحضاري كما في معظم عصور تاريخها، ومع تقادم الزمن لم تعد المعارك بالسلاح فقط، فقد تم فتح جبهات أخرى ضد الإسلام عن طريق التبشير المسيحي والاستشراق الغربي، بدأ الإعداد الجيد لها في الثمانينات والتسعينات، ثم أسفرت عن وجهها القبيح في مطلع القرن الواحد والعشرين، بعدما خيمت سحائب الضعف والهوان على عالمنا الإسلامي، منذ أن غابت شمس الخلافة وانحلت عُري الأمة بتفكك دويلاتها، واعتاد الناس وجه الأرض الجديد، أعوام عدة من العزلة عن ركب الحضارة والتقدم، لكنها عزلة المغشي عليه الذي يوشك أن يفيق.

محمد
رسول الله

وكان من بين الدمى الذين تحركهم دياجير الظلام وسدنة المعبد، ذلك المنتسب زُورًا وبهتانًا لجنس البشر، المدعو(زكريا بطرس)، والذي وجه انتقادات لاذعة إلى الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، بأسلوب أشد خبثًا وبتدبير أكثر مكرًا، وبلغة بذيئة ساقطة تحاول النيل من مشاعر ومقدسات المسلمين، ووصف رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم بالإرهاب، لذلك كان لزامًا علينا أن نتصدى لأمثال هؤلاء، ليعلم هذا البيدق الخاسر أن أمة الإسلام ما تزال بخير وأن تلك المحاولات الغاشمة للنيل من الإسلام لن يكتب لها الاستمرار، فهي كبرق خاطف مكثف قصير الأجل، سرعان ما يتلاشى دون أدنى أثر أو يخلف بعضًا من الذكرى.

محمد رسول الله

بيادق الشر

مازالت يد الغرب الغادرة تحاول العبث بحاضرنا، من خلال مؤسساته الصليبية التي دأبت على احتراف الكذب وصناعة الدسائس، لتشويه صورة الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه روسلم، ومازالت ثقافة الكراهية السوداء تغذي العقل الغربي بسيل من الافتراءات لتظهر الإسلام في ثوب دامي مشوه، لترسخ في المخزون الثقافي الغربي ولعدة قرون كراهية الإسلام وأهله.

ونحن إذا أردنا الإشارة إلى نماذج من هذه الشهادات الغربية على هذه الافتراءات ، فإننا نستطيع أن نشير علي سبيل المثال إلى شهادة المفكر الألماني (هوبرت كرمر) والذي تحدث عن الصورة الغربية التي صنعها العقل الصليبي لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، تلك الصورة التي يعاد تقديمها أفلامًا ورسومات وعلى شاشة التلفزة هذه الأيام.

حيث قال في كتابه (صورة الإسلام في التراث الغربي): «كيف أن الأوربيين ادعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كاردينالًا كاثوليكيًا تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقامًا من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية في القرون الوسطى محمدًا المرتد الأكبر عن المسيحية، ويكشف هذا المفكر عن أن الصورة الذائفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد شارك في صنعها كبار الفلاسفة والمفكرين والقدسيين الغربيين».

فأكبر فلاسفة الكاثوليك توما الأكويني (١٢٢٥-١٢٧٤م) يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه هو الذي أغوى الشعوب من خلال وعوده الشهوانية، وقام بتحريف جميع الأدلة في التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالة محمد إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون في البادية».

وقد انتهز المستشرقون ومن تتلمذ علي أيديهم تلك الادعاءات ليسددوا سهامهم على صميم تاريخنا فيلوثوه، وليسدلوا على جوانب مشرقة منه أستارًا حتى يختفي عن الأعين، فكثر عدد المتطفلين والأدعياء وبيادق الشر، وأضحى لهم منابر وقنوات تبث من خلالها السموم، لذلك وجب علينا كشف هؤلاء والتصدي لهم وأن نقف بالمرصاد لكل من يريد أن ينتقص من الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ليحجب الفضل عن تلك الأيادي الشامخة التي طوقت أعناق الدنيا بدين أبدي.

سيرة قزم

الأسم: زكريا بطرس

المولد: ولد في سنة ١٩٣٤م بمدينة كفر الدوار التابعة لمحافظة البحيرة

الدراسة: درس «بطرس» في كلية الآداب وحصل منها على ليسانس التاريخ.

وهو قس نصراني يتأرجح بين الأرثوذكسية والبروتستنتينية، تنظر له الكنيسة القبطية المصرية على أنه أرثوذكسي مبتدع لقوله بالخلاص في لحظة ، حتى ألف البابا شنوده الثالث كتابًا للرد عليه يسمى: بدعة الخلاص في لحظة، واتهمه الأنبا بيشوي بأنه بروتستنتي خمسيني مندس في الكنيسة الأرثوذكسية، وقد قدم استقالته ولم يسمح له بالخدمة بعد ذلك. (فضيحة زكريا بطرس. وسام عبد الله. موقع ابن مريم).

أصبح اسمه معروفًا للعامة بعد ظهوره في برامج لقناة الحياة الفضائية التبشيرية في عام ٢٠٠٣، والتي تعمل على انتقاد الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم بأسلوب يعتبره المسلمون أسلوبًا تهجميًا غير لائق، أثار الكثير من الجدل.

في يوليو من العام ٢٠١٠ م، أبلغت منظمة

«جويس ماير التبشيرية»، وهي منظمة تبشيرية أمريكية تعمل بالشراكة مع قناة الحياة، أبلغت قناة الـ بي بي سي عربي (BBC Arabic) أنها ستوقف بث برامج زكريا بطرس.

قام في أبريل ٢٠١١ بإطلاق قناة جديدة خاصة به باسم الفادي تبث في أمريكا الشمالية وهي تبث الآن في الشرق الأوسط، وقد قامت العديد من المؤسسات للمطالبة بإسقاط الجنسية المصرية عن زكريا بطرس "لإخلال بطرس باستقرار وأمن مصر في الداخل والخارج" واعتبرت أن إهانة الإسلام كالخيانة العظمى.

افتراءات الجهلاء وإنصاف العلماء

لقد اصطنع زكريا بطرس أسلوبًا ماكرًا لتأدية مهمته، فارتكب إثمًا عظيمًا وهو تطاوله على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، ولقد انبرت الأقلام للرد عليه وتفنيد غثه البغيض، لبيان عواره واظهار كذبه، وسوف نستعرض بعض الآراء التي أظهرت حقده الدفين لرسول السلام صلى الله عليه وسلم.

وكان من جملة هؤلاء الأستاذ محمد جلال القصاص، الذي أجاب علي افتراءاته بالحق والدليل والبرهان، من خلال بحثه (رد الكذاب اللئيم زكريا بطرس عن جناب النبي العظيم)

وسوف نعرض الشبهات والرد عليها

الكذبة الأولى : الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتزوج غير خديجة لأنه تزوج على النصرانية.

كتب السير جميعها تقول أنَ الذي زوج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة هم أعمامه حمزة أو أبو طالب وأنَهم خطبوها من أبيها خويلد أو عمّها عمرو بن أسد وقيل أخوها عمرو بن خويلد بن أسد . وأنَ أبا طالب قام وخطب خطبة النكاح، وأبو طالب وثني مات على شركه، وكل من حضر الزواج كانوا على الشرك (الوثنية) يدعونها ملة أبيهم إبراهيم وليس ثم ذكر قط لورقة بن نوفل إلّا في رواية حُكم عليها بأنَها لا تصح قال فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "هو الفحل لا يجدع أنفه فأنكحها منه" يمدح النبي ويكلم ولي أمر خديجة (أبوها أو عمها أو أخوها) وإن صحت هذه الرواية. وهي لا تصح. فهي تدل على أنَه كان شخصا عاديا حضر الزواج(ابن هشام ج١/ ١٩٠، والروض الأُنف ج١ / ٣٢٢). فلا أدري من أين جاء زكريا بطرس بأنَ النبي صلى الله عليه وسلم تزوج على النصرانية!! إنَه كلام القس النصراني اللبناني الماروني جوزيف قذى المشهور بأبي موسى الحريري في كتابه (قس ونبي)، تكلم بهذا الكلام من رأسه ، أوهام جعلها حقائق ونقل عنه الأفاك الأثيم خليل عبد الكريم ونقل عنه زكريا بطرس. وهذا الكلام محض كذب. لم تتكلم به السيرة النبوية، ولا أحد من علماء المسلمين.

الكذبة الثانية : يتعجب كيف يصلى الله على نبيه. يقول سألنا كثيرا عن الصلاة على النبي ولم نجد من يجيب. ويتابع قائلا : في سدرة المنتهى قال جبريل لله انتظر هنا الله يصلى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يقول الله ؟ قال يقول سبوح . سبوح وينحني بجبهته قليلا وكأنَ الله يسجد أو يركع .

قلنا : لم تسمع لأنَك لا تريد أن تسمع، ولو قرأت ما كتب المفسرون في الآيات التي فيها ذكر صلاة الله على نبيه لعلمت ما هي، وكيف لم يقرأ وهو يذكر أنَه يرجع إلى كتب التفسير في كل شيء ؟! وبيانا لمن يقرأ أقول : ورد صلاة الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى عباده المؤمنين في سورة الأحزاب في قوله تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا » (الأحزاب: ٥٦)، وفي قوله تعالى : « هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا » (الأحزاب : ٤٣) . فالله . سبحانه وتعالى . وملائكته يصلون على النبي، والله سبحانه وتعالى وملائكته يصلون على عباد الله المؤمنين. ومعنى صلاة

الله على عباده المؤمنين رحمتهم، ومعنى صلاة الملائكة على عباد الله الدعاء لهم، وهذا واضح من تمام الآية التي أتت كتعليل لصلاة الله عليهم «لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» يقول الشيخ السعدي. رحمه الله. : "أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم، أن جعل من صلاته عليهم، وثنائه، وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل، إلى نور الإيمان، والتوفيق، والعلم، والعمل. فهذه أعظم نعمة، أنعم بها على العباد الطائعين، تستدعي منهم شكرها، والإكثار من ذكر الله، الذي لطف بهم ورحمهم. وجعل حملة عرشه، أفضل الملائكة، ومن حوله، يسبحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا"

أ .هـ. ويقول ابن كثير : " والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة حكاه البخاري وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة ... وأمّا الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للنّاس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى : «ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ»(غافر:٧-٨). قلتُ : ونحن نصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وصلاتنا عليه دعاء، نصلى نرجو من الله الثواب لنا كما وعدنا. وقلتُ : الشريعة الإسلامية لها خصوصية في استعمال الألفاظ اللغوية، فهي وإن كانت تستعمل اللفظ اللغوي إلّا أنّها لا تستعمله بذات المعنى الموضوع له في اللغة على الدوام بل تخصصه غالبا، وتستعمله كما هو أحيانا، وأحيانا تضيف عليه أو تنقص منه، فصلاتنا لله غير صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم غير صلاة الله علينا غير صلاة الملائكة علينا.

الكذبة الثالثة : أبو بكر جاء للنبي صلى الله عليه وسلم فقابله وهو عريان، ثم جاء عمر فقابله وهو عريان، ثم جاء عثمان فتغطى، فقالت له عائشة: لم تفعل هذا؟ فيقول : كيف لا أخشى من رجل تخشى منه الملائكة .

هذا نص كلامه يضع في الصورة أبو بكر وعمر وعائشة. رضوان الله عليهم. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقابلهم عريانا ثم يتغطى من عثمان. وهذه لم ينطق بها أحد قبل هذا الكذاب اللئيم. والحديث عند مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث (٤٤١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : «كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْه أَوْ سَاقَيْه فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْر فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَال فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَسَوَّى ثِيَابَهُ قَالَ مُحَمَّدٌ وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْم وَاحِد فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْر فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِه ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِه ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُل تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ» . لاحظ ليس هناك تعري كما يدعي هذا الكذاب اللئيم، والراوي يشكك في المكشوف عنه ساق أم فخذ. ورواية أخرى عند أحمد تقول أنّه صلى الله عليه وسلم كان مضطجعا في فراشه ولم تذكر كشف ساق ولا فخذ. وعائشة تقول " ثم دخل عثمان فسويت ثيابك " فهو بثيابه، وهي حالة من التدلل في حضرة من يدل عليه من فضلاء أصحابه . كما يقول النووي رحمه الله في شرح الحديث.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

الشباب عماد الأُمَّة

المنهج النبوي في تزكية نفوس الشباب

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

وبعد: فقد تحدثنا في العدد السابق عن مميزات سن الشباب وهي:

١- النشاط والقوة، والحماسة والفتوة

٢- ذو مواهب وطاقات مع قلة الوعي والعلم والخبرات

٣- ظهور المراهقة وتوهج الشهوة.

وقلنا: إن هذه الخصائص تحتاج ضرورةً إلى ثلاثة مطالب من المربين والمسؤولين:

أولاً: التربية والتوجيه، والتوعية والتنبيه. ثانيًا: إشعار الشباب بالمسؤولية وإعدادهم لتحملها. ثالثا: تزكية تفوسهم لضبط غرائزهم وشهواتهم. وقد تكلمنا عن المطلبين الأول والثاني. وهذه المرة نتحدث عن المطلب الثالث وهو: المنهج النبوي في تزكية نفوس الشباب.

١- تعليم الشباب الوسطية في الدين

والوسطية تعني التوسط بين طرفي الأمور، والاعتدال بين الإفراط والتفريط، وكذلك بين التساهل والتشدد، وبين الإسراف والتقتير، أو بين الغلو والتضييع وهكذا.

"عَنْ مُجَاهِد، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرو، حَدَّثَهُ، قَالَ: كُنْتُ مُجْتَهِدًا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَزَوَّجَنِي أَبِي امْرَأَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَجَاءَ يَوْمًا يَزُورُنَا، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَ بَعْلَكِ"، قَالَتْ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ، وَلَا يُفْطِرُ، قَالَ: فَوَقَعَ بِي أَبِي، وَقَالَ: زَوَّجْتُكَ امْرَأَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَعَضَلْتَ وَفَعَلْتَ، قَالَ: فَجَعَلْتُ لَا أَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهِ مِمَّا أَجِدُ مِنَ الْقُوَّةِ، إِلَى أَنْ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " لَكِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، فَصُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ"، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَالَ: " فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ، صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ"، قَالَ: قُلْتُ إِنِّي أَقْوَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: إِلَى أَنْ قَالَ: " خَمْسَ عَشْرَةَ"، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "اقْرَأْ فِي سَبْعٍ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى ثَلَاثٍ"، قَالَ: قُلْتُ: ثَلَاثٍ؟ قَالَ: فَقَالَ:" إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ"، فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: قَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدَعَ مَا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ". شعب الإيمان (٥/ ٣٩١).

وفي رواية عند ابن حبان عن عَبْد الله بْن عَمْرو، قَالَ: حفظتُ القرآن فقرأت به في

لَيْلَة، فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْهُ في شَهْر»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: «اقْرَأْهُ في عَشْر»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: «اقْرَأْهُ في سَبْع»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: فَأَبَى. صحيح ابن حبان (٣/ ٣٥).

وهكذا تظهر حيوية الشباب وقوته، ومواهبه وطاقته. لكنّ الشباب الصالح يرى الاستمتاع بالشباب أن ينشأ في طاعة الله، وإذا أهمل الشباب فلا يرى المتعة إلا في الملذات والشهوات ولو كانت في تعاطي المحرَّمات، فانتبهوا أيها الآباء والأمهات.

٢- وكان صلى الله عليه وسلم يعلمهم الإيمان وإصلاح السريرة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ". صحيح البخاري ح٦٦٠. ومسلم وغيرهما.

فنجده صلى الله عليه وسلم" خَصَّ الشَّابَّ لكَوْنِه مَظِنَّةَ غَلَبَةِ الشَّهْوَةِ لِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ البَاعِثِ عَلَى مُتَابَعَةِ الهَوَى فَإِنَّ مُلَازَمَةَ العِبَادَةِ مَعَ ذَلِكَ أَشَدُّ وَأَدَلُّ عَلَى غَلَبَةِ التَّقْوَى.

إن في الحديث حثًّا للشباب للإقبال على الله عز وجل، والنشأة في عبادته سبحانه وتعالى من مقتبل عمرهم وريعان شبابهم، وبذلك يستحقون هذه المكانة الرفيعة، وخصهم بذلك؛ لأن سن الشباب قد يغري بمواقعة المعاصي واقتراف الذنوب، نظرًا لما يغلب على المرء من التسويف، وما قد يُتاح له من الأسباب المؤدية إلى المعاصي المعينة عليها، كالصحة، والفراغ". والحديث الآتي مثال على ذلك.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ القَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: "ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. مسند أحمد ح٢٢٢١١ واسناده صحيح. ولهذا حث النبي صلى الله عليه وسلم الشباب على الزواج ماستطاع إلى ذلك سبيلا.

قال عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ؛ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلْيَصُمْ، فَإِنَّ الصَّوْمَ، وِجَاؤُهُ، أَوْ وِجَاءٌ لَهُ ". مسند أحمد ح٤٢٧١ واسناده صحيح.

٣ - وينمي صلى الله عليه وسلم فيهم الخوف من الأخرة

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهَاجِرَةُ البَحْرِ، قَالَ: «أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ؟» قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِز

رَهَابِينِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا، قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَتْ، صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟». سنن ابن ماجه ح ٤٠١٠. وإسناده صحيح.

وهكذا بعد أن يستقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفكارهم كشباب يستثمر ما قالوه عن اليوم الآخر ليربطهم به ويبين لهم عظمة ذلك اليوم وشدته، وأهمية نصر الضعفاء ضد ظالميهم.

وارتباطًا بالإيمان بالله واليوم الآخر وما أعد الله فيه من الجنة والنار؛ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلهم على أبواب الخير التي تنجي من عذاب النار كما ظهر في هذا الحديث.

عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا، فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي المَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا". صحيح البخاري ح١١٢١.

٤- كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الشباب تحري أعمال الحلال

- عن الله بن عمرو، قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلَيَّ ثوبين مُعَصْفَرين، فقال: «أُمُّكَ أمرتك بها؟»، قال: قلت: أغسلهما؟ قال: «بل أحرقهما». المعجم الكبير للطبراني ١٤٣٥٢.

وفي رواية له: رأى عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبين معصفرين، فقال: «إنهما من ثياب أهل النار؛ فلا تلبسهما».

وفي رواية معمر بن رشد: "رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «أُمُّكَ أَلْبَسَتْكَ هَذَيْنِ؟»، فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أُلْقِيهِمَا؟ قَالَ: «بَلْ حَرِّقْهُمَا». قَالَ مَعْمَرٌ: وَأَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدَّ إِلَيْهِ النَّظَرَ حِينَ رَآهُمَا عَلَيْهِ، وَقَالَ: «إِنَّ الْحُمْرَةَ مِنْ زِينَةِ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُحِبُّ الْحُمْرَةَ». جامع معمر بن راشد (١١/ ٧).

٥- وكان صلى الله عليه وسلم يعلمهم العفة والأكل من عمل اليد

عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأن يأخذ أحدكم أحبله، فيأتيَ الجبل، فيجيءَ بحزمة حطب على ظهره فيبيعها، فيستغنيَ بثمنها، خيرٌ له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه». صحيح البخاري ح٢٠٧٥ مختصرًا. وفي صحيح ابن ماجه ١٤٩٨ مطولاً.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ». صحيح البخاري ح ٢٢٦٢.

نسأل الله أن يصلح حال شبابنا، ويهديهم سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

قصة الطعام الذي يُرقق القلب

إعداد / علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في بعض كُتب السنة الأصلية- كما سنبين من التخريج- يجعل من لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن هذه القصة صحيحة.

٢- القصة كما سنبين من المتن جاء بها افتراء أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن نبيًا من الأنبياء اشتكى إلى الله قساوة قلوب قومه، وفي القصة أن الله استجاب له وأوحى إليه وهو في مصلاه بعلاج قساوة القلوب وهو أن يأمر قومه بأكل العدس، فإنه يرقق القلب.

٣- ومن أهم الأسباب التي تحتم علينا بيان حقيقة هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة وبيان علته دفاعًا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ أن الدكتور زغلول النجار- عفا الله عنا وعنه جعل هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة إعجازًا علميًا في السنة النبوية، حيث أورده في كتابه الذي عَنْون له: «الإعجاز العلمي في السنة النبوية- د. زغلول النجار أستاذ علوم الأرض وزميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم ورئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية مصر العربية»، ونحن لا نتناول اسمه ولا رسمه، بل ذكرناه بما نشره ولكن الذي يهمنا هو الدفاع عن السنة النبوية، ولولا أن الدكتور نشر هذا الحديث في كل الوسائل الإعلامية من كتب وصحف وقنوات فضائية تحت «الإعجاز العلمي في السنة النبوية»، لولا هذا ما نبهنا عليه، ولكنه بهذه الوسائل اشتهر وانتشر، فقد أورده في كتابه «الإعجاز العلمي في السنة النبوية» (٢/٩٧) (ح١٤)

تحت عنوان: «العدس أكله يرقق القلب»، ومن قبل نُشر في جريدة الأهرام، حيث قال الدكتور في كتابه «الإعجاز العلمي في السنة النبوية» (١٧/١): «وكانت الأحاديث النبوية الشريفة الثلاثون التي جمعتها هنا قد نُشرت بإيجاز تباعًا طوال شهر رمضان عام (١٤٢٢هـ) على صفحات جريدة الأهرام في كل يوم حديث»، ثم بيَّن أنه جمعها في كتاب لإمكانية الاستفادة المستدامة.

٤- ثم الذي يحتم علينا بيان حقيقة هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة التي سنبين عارها ونكشف عوارها أن الدكتور قال في كتابه «الإعجاز العلمي في السنة النبوية» (١٦/١): «وهذا الجانب ألا وهو جانب الإعجاز العلمي هو واحد من جوانب الإعجاز العديدة في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو وحده يكفي لدحض دعاوى المطبلين وتشكيك المشككين في صدق رواة الأحاديث ودقة جامعيها». اهـ.

قلتُ: أي إعجاز علمي في حديث العدس يدل على صدق رواة أحاديث العدس، ونحن سنبين كذبهم وشدة ضعفهم بأقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم من التحقيق.

٥- ونقول للدكتور: عليك بالقاعدة التي يركز عليها أهل الحديث: «أثبت العرش ثم انقش». حتى لا نفتح بابًا للطعن في السنة، ونحن لا ندري بما يسمى الإعجاز العلمي للسنة النبوية؛ حيث إن الدكتور كتب أكثر من خمسين سطرًا تحت الإعجاز العلمي ثم ختمه جازمًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أكل العدس يرقق القلب ويدمع العين، ويذهب الكبر». ثم قال: «والعدس لم يكن شائعًا في جزيرة العرب، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك يعتبر وصفه له في هذا الحديث الشريف الذي نحن بصدده من معجزات هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم»، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

ثانيًا: المتن:

رُوي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن نبيًا من الأنبياء اشتكى إلى الله تعالى قساوة قلوب قومه، فأوحى الله إليه وهو في مصلاه أن مر قومك أن يأكلوا العدس يُرق القلب، ويدمع العين، ويذهب الكبرياء، وهو طعام الأبرياء».

ثالثًا: التخريج:

١- الحديث الذي جاءت به هذه القصة: أخرجه الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني المتوفى سنة (٤٣٠هـ) في كتابه «الطب النبوي» (٦٣٧/٢) (ح٦٨٨) ط. دار ابن حزم، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق في كتابه، أخبرنا علي بن محمد، حدثنا حسنون بن أحمد بن سليمان، حدثنا موسى بن محمد المرادي، حدثنا يحيى بن حوشب الأسدي، عن صفوان بن عمرو، عن مكحول عن أبي هريرة مرفوعًا.

٢- وأخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٨٩٨- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا محمد بن الحسين إذنًا أخبرنا أبي، أخبرنا ابن السني، أخبرنا علي بن محمد، حدثنا حسنون بن أحمد بن سليمان به.

٣- وأخرجه ابن السني في «الطب» (٢١٣/٢- اللآلئ المصنوعة) قال: أنبأنا علي بن محمد حدثنا حسنون بن أحمد بن سليمان به.

رابعًا: التحقيق:

١- هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية منكر باطل، وعلته يحيى بن حوشي الأسدي، وأورد هذا الحديث الحافظ السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (٢١٣/٢) برواية ابن السني في «الطب» قال: «يحيى منكر الحديث». اهـ.

٢- وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٤٨٩/٣٧٠/٤): «يحيى بن حوشب الأسدي منكر الحديث عن الضعفاء قاله ابن عدي، ثم ذكر له حديثًا من مناكيره، ثم قال الذهبي: حديث منكر بل باطل». اهـ.

٣- وأورده الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٣٤/٧) (٢١٣٦/٨٣) وقال:

«يحيى بن حوشب أبو عبد الله الأسدي حدّث عن الضعفاء بالمناكير»، ثم خرّج حديثين منكرين باطلين من مناكيره.

٤- ونقل ابن عراق في «تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (٢/٢٤٤) هذا الحديث الذي جاءت به القصة وفيه يحيى بن حوشب منكر الحديث». ثم قال: «وعنه موسى بن محمد المرادي ما عرفته».

٥- ونقل الحافظ ابن حجر أقوال الإمام الذهبي والحافظ ابن عدي في يحيى بن حوشب في «اللسان» (٦/٣٠٨) (٤٩/٩١٢٣) وأقرها.

٦- الاستنتاج: نستنتج أن حديث يحيى بن حوشب في متن العدس يرقق القلب حديث منكر باطل.

خامسًا: طريق آخر في ترقيق القلب بالعدس:

يحاول من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن يأتي بهذا الحديث ليجعله شاهدًا لحديث أبي هريرة والحديث الذي رُوي عن عليّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالعدس؛ فإنه مبارك، وإنه يرقق القلب، وتكثر له الدمعةُ، وأنه قد بارك فيه سبعون نبيًا».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٢٩٤) من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا، وعلته عبد الله بن أحمد بن عامر، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٣٩٠/٤٢٠٠): «عبد الله بن أحمد بن عامر، عن أبيه، عن علي الرضا عن آبائه بتلك النسخة الموضوعة الباطلة، ما تنفعك عن وضعه أو وضع أبيه». اهـ.

قلتُ: وهذا الحديث من هذه النسخة الموضوعة التي وضعها عبد الله بن أحمد بن عامر أو أبيه بهذا السند عن علي الرضا عن آبائه حتى وصلوا إلى علي بن أبي طالب مرفوعًا؛ فالحديث موضوع كذب مختلق مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

سادسًا: شيخ الإسلام ابن تيمية ونقد الحديث (سندًا ومتنًا):

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٧/٢٣): «من اعتقد أن العدس مطلقًا فيه فضيلة فهو جاهل، والحديث الذي يروى: «كلوا العدس فإنه يرقق القلب، وقد قُدّس فيه سبعون نبيًا» حديث مكذوب مختلق باتفاق أهل العلم، ولكن العدس هو مما اشتهاه اليهود، وقال الله تعالى لهم: «أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ» (البقرة: ٦١)». اهـ.

سابعًا: الإمام ابن القيم ونقد المتن:

قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١١١) فصل (٦): «ونحن ننبه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعًا، منها: تكذيب الحس له: كحديث: «عليكم بالعدس فإنه مبارك يرقق القلب، ويكثر الدمعة، قدس فيه سبعون نبيًا»، وأرفع شيء في العدس أنه شهوة اليهود، وقد سماه تعالى: (أدنى)، ونعى على من اختاره على المن والسلوى وجعله قرين الثوم والبصل، وفيه من المضار: تهيج السوداء، والنفخ، والرياح الغليظة وضيق التنفس، والدم الفاسد، وغير ذلك من المضار المحسوسة، ويشبه أن يكون هذا الحديث من واضع الذين اختاروه على المن والسلوى وأشباههم». اهـ.

تنبيه: هذا ليعلم المؤمن أن رقة قلبه: لم تكن علي قدر العدس الذي يوضع في بطنه، ولكن رقة قلبه: على قدر خشوعه لربه.

فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم قال: «لا أقول لكم إلا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أعوذ بك من عِلْم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

علي حشيش

٩٤٤- «إذا أقل الرجلُ الطعم مُلئ جوفه نورًا».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص٩/٢) مكتبة الحرم النبوي (الحديث) رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧): وقال: «فر: عن أبي هريرة».

قلت: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي.

وهذا تخريج بغير تحقيق من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه «موضوع». فالحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٣١٩- الغرائب الملتقطة) عن أحمد بن محمود بن الحسني، حدثنا إبراهيم بن مهدي الأيلي ببغداد، حدثنا محمد بن إبراهيم بن العلاء بن المسيب، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن برد، عن مكحول، عن أبي هريرة مرفوعًا.

وعلة هذا الحديث محمد بن إبراهيم بن العلاء:

قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٥٦١٦/٢١/١٦): محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي روى عن: إسماعيل بن عياش وآخرين، قال أبو الحسن الدارقطني: «كذاب». اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٠١/٢): «يضع الحديث لا تحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار»، وقال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٧١/٦) (١٧٥٥/١٣٤): «منكر الحديث، وعامة أحاديثه غير محفوظة». اهـ.

ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٧١٠٢/٤٤٥/٣) هذه الأقوال وأقرها، وبهذا يتبين أن محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي: «كذاب يضع الحديث»، فالحديث موضوع.

٩٤٥- «دخلتُ الجنة، فرأيتُ فيها جنانًا من لؤلؤ، ترابها المسك، فقلتُ: لمن هذا يا جبريل؟ فقال: هذا للمؤذنين والأئمة من أمتك».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٧١/٦) (١٧٥٥/١٣٤) قال: حدثنا محمد بن سعيد بن مهران الأيلي، حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي، حدثنا محمد بن العلاء الأيلي، عن يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري، عن أنس بن مالك، عن أبي بن كعب مرفوعًا.

ثم قال: «لا أعلم يرويه عن يونس غير محمد بن العلاء وعنه محمد بن إبراهيم الشامي وعامة أحاديثه غير محفوظة، وهو منكر الحديث».

قلتُ: ومحمد بن إبراهيم الشامي هو علة الحديث، وهو كذاب يضع الحديث، كما بينا آنفًا.

٩٤٦- «يكون في آخر الزمان عبادٌ جهالٌ، وعلماءُ فسقة».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٥٨/١) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «الحديث أخرجه الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف». اهـ.

قلتُ: وبمعرفة العلة تعرف درجة ضعف الحديث، فالحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣١٥/٤) من طريق يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنس مرفوعًا، وقد سكت عنه الحكم وتعقبه الذهبي في «التلخيص» (٣١٥/٤- مستدرك) فقال: «يوسف هالك». اهـ. وقال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٨٧/٢/٤): «منكر الحديث»، وهي من أشد صيغ الجرح عنده، كما بيَّن ذلك الذهبي في «الميزان» (٥/١)، لذلك اتهمه ابن حبان بالوضع في «المجروحين» (١٣٥/٣)، وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٦١٧): «متروك الحديث بصري». اهـ.

نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

الإمام الجويني ينصح الأمة بإثبات صفات الله ونبذ المذهب الأشعري بالكلية.. بعد حيرة واضطراب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد، فقد "كان الإمام الجويني والد إمام الحرمين، (ت ٤٣٨) من كبار العلماء القائلين بالتأويل برهة من الزمن، ثم هداه الله تعالى إلى اتباع السلف في فهم الاستواء وسائر الصفات، ثم ألف في ذلك رسالة نافعة قدمها نصيحة لإخوانه في الله كما صرح بذلك في مقدمتها، وقد وصف فيها وصفًا دقيقًا تحيره وتردده في مرحلة من مراحل حياته العلمية: بين اتباع السلف وبين اتباع علماء الكلام في عصره الذين يؤولون الاستواء بالاستيلاء".. بهذه العبارات فاه الشيخ الألباني في مقدمة كتابه (مختصر العلو) للحافظ الذهبي، حاكيًا ما مر به الجويني من تجربة مريرة أفاد منها، وأراد من خلال نصيحته أن يُفيد بها الأمة جمعاء.

إعداد **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**

الأستاذ بجامعة الأزهر

(١) الجويني يحكي تجربته الأشعرية التي مر بها قبل أن يتوب لمذهب أهل السنة:

يقول الإمام الجويني رحمه الله: "هذه وصيتي كتبتها لإخواني في الله أهل الصدق والصفاء والإخلاص، لما تعين من محبتهم في الله ونصيحتهم في صفات الله، فإن المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.. وقد كنت برهة من الدهر متحيرًا في ثلاث مسائل:
١- مسألة الصفات..٢- مسألة الفوقية..
٣- ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد.

وكنت متحيرًا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبئة بحقائق هذه (الصفات) وكذلك في إثبات (العلو والفوقية)، وكذلك في (الحرف والصوت)؛ ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم، منهم: من يُؤوِّل (الاستواء) بـ (القهر والاستيلاء) ويؤوِّل (النزول) بـ (نزول الأمر)، ويؤوِّل (اليدين) بـ (القدرتين أو النعمتين)، ويؤوِّل (القدَم) بـ (قدَم صدق عند ربهم)، وأمثال ذلك، ثم أجدهم مع ذلك يجعلون (كلام الله تعالى) معنى قائمًا بالذات بلا حرف بلا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم!.

وممن ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها، قومٌ لهم في صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين - لأني على مذهب الشافعي رضي الله عنه - فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلَّة يذهبون إلى مثل هذه الأقوال وهم شيوخي، ولي فيهم الاعتقاد التام، لفضلهم وعلمهم؛ ثم إني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي

إليها، وأجد الكَدَرَ والظلمةَ منها، وأجد ضيقَ الصدر وعدمَ انشراحه مقرونًا بها، فكنتُ كالمتحير المضطرب في تحيره؛ المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره..

وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات (العلو والاستواء والنزول)، مخافة الحصر والتشبيه!؛ ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله، وسنة رسوله أجدها نصوصًا تشير إلى حقائق هذه المعاني، وأجد الرسول قد صرح بها مخبرًا عن ربه، واصفًا له بها؛ وأعلم بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم كان يحضر مجلسه الشريف العالم والجاهل، والذكي والبليد، والأعرابي والجافي، ثم لا أجد شيئًا يَعْقُب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها، لا نصًا ولا ظاهرًا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها، كما تأولها مشايخي الفقهاء المتكلمين، مثل تأويلهم: (الاستيلاء) لـ (الاستواء)، و(نزول الأمر) لـ (النزول)، وغير ذلك..

ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من (الفوقية واليدين) وغيرها، ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها.

(٢) الجويني يسرد من نصوص الوحي وأدلة العقل على الإثبات: ما به تقوم الحجة:

وأجد الله يقول: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) (طه:٥)، (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ) (النحل:٥٠)، (إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ) (فاطر:١٠)، (ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ) (الملك: ١٦)، (قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ) (النحل:١٠٢)، (تعرج الملائكة والروح إليه) (المعارج:٤).

ثم أجد الرسول لما أراد الله أن يخصه بقربه عرج به من سماء إلى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى؛ ثم قوله للجارية كما في الصحيح: (أين الله؟) فقالت: (في السماء)، فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلا يتوهموا أن الأمر على خلاف ما هو عليه، بل أقرَّها وقال: (اعتقها فإنها مؤمنة)..

وقوله -كما في حديث جبير بن مطعم-: (إن الله فوق عرشه فوق سماواته، وسماواته فوق أرضه مثل القبة) وأشار صلى الله عليه وسلم بيده مثل القبة.. وقوله فيما صححه الترمذي: (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)..

وقوله فيما أخرجه أبو داود: (من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكى أخ له، فليقل: ربنا الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجع؛ فيبرأ).. وقوله: (ألا تأمنوني وأنا أمين مَن في السماء..) أخرجه البخاري.

وقوله في حديث روح الميت وقد حضرته الملائكة: (أخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب وأبشري بروح وريحان وربٍّ غيرِ غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرجَ ثم يُعرج بها إلى السماء.. حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل).. وقوله في الحديث المتفق عليه: (..ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها).. وقوله فيما أخرجاه: (إن الله كتب كتابًا.. فهو عنده فوق العرش).. وقوله لما حُكِّم معاذ في قريظة: (لقد حكمتَ حكمًا حكم الله به من فوق سبع أرقعة.. وقوله في حديث المعراج فيما أخرجاه: (فرجعت إلى ربي فوضع عني عشرًا خمس مرات).

ثم ذكر من الآثار قول زينب بنت جحش في تفسير (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا) (الأحزاب:٣٧): (إن الله زوجني من السماء) وفي لفظ: (من فوق سبع سماوات).. وقول ابن عباس بحق براءة عائشة: (.. وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات).. إلى آخر ذلك.

ثم استطرد الجويني يقول: "فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال حتى لطف الله وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق كشفًا اطمأن إليه خاطره وسكن به سرُّه وتبرهن بالحق في نوره.. والذي شرح الله صدري هو أن الله

كان ولا مكان، لا عرش ولا ماء ولا فضاء ولا هواء ولا خلاء ولا ملأ، وأنه كان منفردًا في قدمه وأزليته متوحدًا في فردانيته، لا يوصف بأنه فوق كذا إذ لا شيء غيره، هو سابق للتحت والفوق اللذين هما جهة العالم لازمتان لها، والرب في تلك الفردانية منزَّه عن لوازم الحدث وصفاته، فلما اقتضت إرادته بخلق الأكوان المحدثة المخلوقة ذات الجهات، اقتضت على أن يكون للكون جهات من العلو والسفل - وهو سبحانه منزَّه عن صفات الحدث - فكوَّن الأكوان وجعل لها جهتا العلو والسفل، وعليه فإذا ما أشير إلى فوق فإن الإشارة تقع على أعلا جزء من الكون حقيقة وتقع على عظمة الإله كما يليق به، لا كما تقع على الحقيقة المعقولة عندنا في أعلا جزء من الكون فإنها إشارة إلى جسم وتلك إشارة إلى إثبات.. وعليه فإن الأمر الذي تهرب المتأولة منه، نحن أشد الناس هربًا منه وتنزيهًا للباري عن الحد الذي يحصره، فلا يُحدُّ بحد يحصره بل بحدٍّ تتميز به عظمته، وذاته ليست مخلوقاته"، يقول:

"إذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهة التأويل، وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك والصدور تنشرح له، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تحريف (الاستواء) بـ(الاستيلاء وغيره)، والوقوف في ذلك جهل وعيٌّ، مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها، فوقوفنا عن إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه لنا، ولا نقف في ذلك؛ وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة، فمن وفقه الله تعالى للإثبات بلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف، فقد وقف على الأمر المطلوب منه إن شاء الله".

٣) الجويني يكشف عن السبب الذي حمل الخلف في تأويلاتهم على مخالفة السلف:

ثم شرع الجويني يبين السبب الذي حمل علماء الكلام على تأويل (الاستواء) بالاستيلاء قائلا: "والذي شرح الله به صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أوّلوا (الاستواء) بـ(الاستيلاء)، و(النزول) بـ(بنزول الأمر)، و(اليدين) بـ (النعمتين والقدرتين)، هو: علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولًا يليق به، ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه، وعطَّلوا ما وصف الله نفسه به".

وأردف يقول: "ولا ريب أنا نحن وإياهم، متفقون على إثبات صفات: (الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام لله تعالى)، ونحن قطعًا لا نعقل من (الحياة) إلا هذا العَرَض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من (السمع والبصر) إلا أعراضًا تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون: (حياته ليست بعرَض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك، وإنما هي صفات كما تليق به، لا كما تليق بنا)، فكذلك نقول نحن: (حياته معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم وليس مكيفًا، وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك أعراضًا، بل هو كما يليق به، ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر، فإنهما معلومان ولا يُكيَّفان، كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة وهي كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة أو انتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته، وجلالة صفاته تعالى معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصرًا من وجه، أعمى من وجه؛ مبصرًا من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد، وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله نفسه به، وبين نفي التحريف والتشبيه

والوقوف، وذلك هو مراد الله منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين الاستواء والسمع، ولا بين النزول والبصر، الكل ورد في النص).

فإن قالوا لنا في الاستواء: (شبّهتم)، نقول لهم: (في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بالعَرَض!)، فإن قالوا: (لا عَرَض بل كما يليق به)، قلنا: (في الاستواء والفوقية لا حصر، بل كما يليق به)، فجميع ما يُلزمونا به في: (الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب) من التشبيه، نلزمهم به في (الحياة والسمع والبصر والعلم)، فكما لا يجعلونها هم أعراضًا، كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا مما يوصف به المخلوق؛ وليس من الإنصاف أن يفهموا في (الاستواء والنزول والوجه واليد) صفات المخلوقين، فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف، فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض!؛ فما يُلزمونا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نُلزمهم في هذه الصفات في العَرَضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها إلى التشبيه سواء بسواء".

وعقب يقول: "ومن أنصف، عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا، ودان لله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل والوقوف - يعني: عن الإثبات ومعرفة المعنى - وهذا مراد الله منا في ذلك، لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأوّلناها، كان كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية إن شاء الله تعالى"، انتهى باختصار من (رسالته في الاستواء) ضمن: (مجموعة الرسائل المنيرية) ١/١٧٦: ١٨٣، وهي مطبوعة في كتاب مستقل بمسمى: (النصيحة في صفات الرب جل وعلا) ص ٤٠: ٤٣.. كما ينظر في شأنها مختصر العلو للألباني ص ٢٧: ٣١، ٢٧٧ وشرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني د. حمد العباد ص٣٧.

يقول الشيخ الألباني معلقًا: "لقد وضح من كلام الإمام كالجويني رحمه الله تعالى السبب الذي حمل الخلف -إلا من شاء الله- على مخالفة السلف في تفسير آية (الاستواء)، وهو أنهم فهموا منه -خطأ كما قلنا- استواء لا يليق إلا بالمخلوق -وهذا تشبيه- فنفوه بتأويلهم إياه بالاستيلاء!

ومن الغريب حقا أن الذي فروا منه بالتأويل، قد وقعوا به فيما هو أشر منه بكثير، ويمكن حصر ذلك بالأمور الآتية:

الأول: التعطيل، وهو إنكار صفة علو الله على خلقه علوًا حقيقيًا يليق به تعالى، وهو بيِّنٌ في كلام الإمام الجويني.

الثاني: نسبة الشريك لله في خلقه يضاده في أمره، فإن الاستيلاء لغة لا يكون إلا بعد المغالبة كما ستراه في ترجمة الإمام اللغوي ابن الأعرابي، فقد جاء فيها:

أن رجلا قال أمامه مفسرًا (الاستواء) بـ (استولى)!؛ فقال لهم الإمام: (اسكت، العرب لا تقول للرجل: استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب قيل: استولى، والله تعالى لا مضاد له)، وسنده عنه صحيح كما بينته هناك في التعليق (٢١٠)، واحتج به العلامة نفطويه النحوي في (الرد على الجهمية) كما ستراه في ترجمته (١١٩).. فنسأل المتأولة: من هو المضاد لله تعالى حتى تمكن الله تعالى من التغلب عليه والاستيلاء على ملكه منه؟!...

وهذا إلزام لا مخلص لهم منه إلا برفضهم لتأويلهم، ورجوعهم إلى تفسير السلف"ا.هـ.

رحم الله أئمتنا أئمة أهل السنة - المستقدمين منهم والمستأخرين - على ما أوضحوه وبينوه وجلوا عنه غبار التحريف والتأويل والتفويض الذي وقع فيه الخلف هداهم الله..

وإلى لقاء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحلقة الأولى

القرآن منهج وعمل (٢)

النهي عن السخرية والاحتقار

إعداد د/ عادل بن يوسف العزازي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد خلق الله تعالى البشر، وفاضل بينهم، وجعل بعضهم في خدمة بعض؛ فابتلى بعضهم ببعض وسخر بعضهم لبعض.

قال تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ» (الأنعام:١٦٥)

فبين في هذه الآية الحكمة من التفاوت بينهم وهي الابتلاء والاختبار.

وقال تعالى: «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا» (الزخرف:٣٢).

وبين في هذه الآية الحكمة من ذلك هي تسخير بعضهم لبعض حتى تكتمل منافعهم، وهذا يعني أن كل فرد يحتاج إلى الآخرين.

ولكن يشاع في بعض المجتمعات الإسلامية السخرية ببعض الأفراد أو القبائل أو الجنسيات، أو اللون، أو المهن، بالعبارات التي تقدح وتقلل من مكانتهم الاجتماعية، وقد كثرت هذه السخرية في عصرنا حتى يمكن أن يطلق على عصرنا هذا عصر السخرية.

لكن حرمت الشريعة الإسلامية السمحة السخرية بالآخرين في كثير من التوجيهات في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ»).

في الآية توجيهات لتحريم السخرية وأنها ليست من خلق المسلم، فقد خاطبهم بنداء الإيمان تذكيرًا لهم بهذا الوصف وما يقتضيه من الأخلاق الحميدة وهم أهل لذلك.

ثم ذكرهم بالأخوة بينهم في قوله (ولا تلمزوا أنفسكم) يعني إخوانكم، فجعلهم نفسًا واحدة، وإن من استهزأ بغيره كأنما يستهزأ بنفسه.

ثم ختم الآية بالترهيب من هذه الأخلاق وأن صاحبها موصوف بالفسق، وهو خلق لا يرضاه كل مؤمن لنفسه.

قال العلماء:

(إن مَن فعَل إحدى الثلاث: السُّخرِية- النبز-

اللَّمز، استحقَّ اسمَ الفسوق، وهو غاية النَّقص بعد أن كان كاملَ الإيمان).

وفي ختام الآية ما يشير إلى دعوتهم للتوبة وحثهم على ذلك وتحذيرهم من التمادي في هذه الرذائل.

قال الطبري رحمه الله:

(إن الله عمَّ- بنهيه المؤمنين عن أن يَسخر بعضُهم من بعض- جميعَ معاني السُّخرية، فلا يحلُّ لمؤمنٍ أنَ يسخر من مؤمن: لا لفقره، ولا لذنبٍ ركبَه، ولا لغير ذلك) اهـ. (تفسير الطبري: ١١/ ٨٣).

وقال القرطبي رحمه الله:

(وبالجملة فينبغي ألاَّ يجترئ أحدُ على الاستهزاء بمَن يقتحمه بعينه إذا رآه رثّ الحال، أو ذا عاهة في بدَنه، أو غير لبق في محادثته، فلعلَّه أَخلص ضميرًا، وأنقى قَلبًا ممَّن هو على ضدِّ صفته، فيظلم نفسَه بتحقير مَن وقَّرَهُ الله، والاستهزاء بمَن عظَّمَهُ الله) أهـ. (تفسير القرطبي: ١٦/ ٣٢٥).

وقال ابن كثير رحمه الله:

(ينهى تعالى عن السُّخرية بالناس واحتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في «الصحيح» عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الكبر بطرُ الحقِّ، وغَمْط الناس»، والمراد من ذلك احتقارُهم واستصغارهم، وهذا حرام؛ فإنه قد يكون المحتقَر أعظم قدرًا عند الله وأحبَّ إليه من الساخر منه، والمحتقِر له) أهـ. (تفسير ابن كثير: ٤/ ٢١٢).

معنى السخرية

السُّخْرِيَةُ: الاسْتهْزَاءُ وَالاسْتخْفَافُ.

قال الجوهريَ:

(يقال سخرت منه وسخرت به كما يقال: ضحكت منه، وبه، وهزئت منه، وبه) أهـ. (الصحاح ٢/ ٦٨٠).

فالسخرية: الاسْتهْزَاء بالشَّيْء والاسْتهَانَةُ به، وكَثيرًا مَا يَصْحَبُ ذلكَ الضَّحكَ النَّاشئَ عَن الاسْتخْفَاف وَالاحْتقَار.

ومَن السُّخَرية التهكُّم: والمراد بالتهكُّم: ما كان ظاهره جدًّا وباطنُه هزلاً.

يقول الكفوي: (ولا تخلو ألفاظ التهكُّم من لفظ من الألفاظ الدالَّة على الذمِّ أو لفظة معنَاها الهجو) أهـ. (الكليات للكفوي: ٢/ ٨٧).

ومن السُّخْرية الاحتقار والتعيير، بالفقر أو الذنب أو المَرض، أو ما شابه ذلك، فقد نصُّوا على أنه من السُّخْرية.

كما قال الطبري (فلا يحلُّ لمؤمن أن يسخرَ من مؤمنٍ: لا لفقره، ولا لذنبٍ رَكبه، ولا لغير ذلك) اهـ.

ومن السُّخْرية: التنابز بالألقابٍ: وقد ورد النهي عنهما في الآية: فيكون اللمز والتنابز بعد ذكر السُّخْرية من قبيل ذكر الخاصّ بعد العام، اهتمامًا به، ومزيدًا من التحذير منه.

الأحاديث النبوية في النهي عن السخرية:

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِم عَلَى الْمُسْلِم حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ». (صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٦) رقم (٣٢) - (٢٥٦٤)).

٢- وروى البخاري في صحيحه عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْد، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ». صحيح البخاري (١/ ١٥) رقم (٣٠). ومعنى (الربذة) موضع قريب من المدينة. (حلة) ثوبان إزار ورداء. (غلامه) عبده ومملوكه. (إخوانكم خولكم) الذين يخولون أموركم - أي يصلحونها - من العبيد والخدم هم إخوانكم في الدين أو الآدمية.

٣- وأخرج أبو داود عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم- حَسْبُكَ مِنْ

صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ تَعْنِي قَصِيرَةً. فَقَالَ:

«لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ». قَالَتْ وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا». (رواه الترمذي رقم (٢٥٠٣) و(٢٥٠٤) في صفة القيامة، باب تحريم الغيبة، وأبو داود رقم (٤٨٧٥) في الأدب، باب في الغيبة، وإسناده صحيح، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٢٣) برقم ٤٠٨٠).

أي: قلت كلمة لو وضعت في البحر لغيرته. وقولها (وحكيت إنسانًا) أي مثلته.

ميزان التفاضل عند الله تعالى:

الرفعة عند الله تعالى بالتقوى والعمل الصالح وليست بالنسب ولا بالمنصب ولا بالجاه ولا بالمال.

قال تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (الحجرات:١٣)

ولهذا كان واجبًا عليهم أن يتخلقوا فيما بينهم بالأخلاق الحسنة، فلا يسخر قويهم من ضعيفهم، ولا يحقر غنيهم فقيرهم.

١- أخرج الإمام مسلم عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ:

«إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ». (صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٨) رقم (٢٢٣) - (٢٥٤٢)).

٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ»: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ». (رقم (٣٨٥٣) في المناقب، باب مناقب البراء بن مالك رضي الله عنه).

(أشعث) الأشعث: البعيد العهد بالدهن والتسريح والغسل.

(ذي طمرين) الطمر: الثوب الخلق، وذو الطمرين: الذي عليه ثوبان خلقان، (لا يؤبه له) فلان لا يؤبه له، أي: لا يعرف ولا يعلم به لحقارته.

(لأبرّه) أبرَّ قسمه، أي: صدّقه وجعله بارًا فيه لا يحنث.

٣- عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا». (رواه البخاري ٩ / ١١٧ رقم (٥٠٩١) في النكاح، باب الأكفاء في الدين، وفي الرقاق، باب فضل الفقر).

٤- عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ابْنُ الْإِسْلَامِ. قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هَذَيْنِ الْمُنْتَسِبَيْنِ أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَمِي أَوِ الْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ. (مسند الإمام أحمد، برقم: (٢١١٧٨). وصححه الألباني، ينظر: السلسلة الصحيحة، ٣/ ٢٦٥، برقم: ١٢٧٠).

وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

إعداد **الشيخ مصطفى البصراتي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتكلم عن مثل آخر من الأمثال في القرآن وهو في سورة الشورى الآية الحادية عشر، قال تعالى: «فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١).

المعنى الإجمالي

قال صديق حسن خان القنوجي في قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ»: المراد بذكر المثل هنا المبالغة في النفي بطريق الكناية فإنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى، كقولهم: مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود. اهـ.

فمعنى: «لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ» أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه. «وَهُوَ السَّمِيعُ» لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. «البَصِير» يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدًا، وسريان الماء في الأعضاء الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة

المخلوقات، وفيه رد على المشبهة في قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وعلى الم قوله: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ». (تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي).

معاني المفردات:

«فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي: هو فاطر، والفاطر بمعنى: الخالق على غير مثال سبق فهو بمعنى: بديع السماوات والأرض، والسماوات والأرض معروفان. السماوات: هي هذه السماوات السبع التي أخبرنا الله عنها، وبين أنها سبع شداد، وبين أنه سبحانه وتعالى بناها بأيد، فقال تعالى: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ» (الذاريات: ٤٧) أي: بقوة، وليس المراد بالأيد في هذه الآية يد الله عز وجل، لأن الله لم يضفها إلى نفسه لم يقل بأيدينا، قال: «بِأَيْدٍ» و(أيد) مصدر أد يئد، إذا قوي، فهو كقوله: «وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا» (النبأ: ١٢).

هذه السبع الشداد إذا كان يوم القيامة تكون واهية «فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ» (الحاقة: ١٦). أي: ضعيفة. أما الأرض فهي أرضنا المعروفة، والسماوات مجموعة لأنها سبع، والأرض مفردة يراد بها الجنس، وقد بين الله عز وجل في سورة الطلاق: أنها سبع، فقال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» (الطلاق: ١٢). فقال: (وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) ومن المعلوم أن المماثلة هنا ليست مماثلة في الذات؛ إذ بين السماوات والأرض بون شاسع، لكن المراد مثلهن في العدد، ويؤيد ذلك ما جاءت به السنة؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه الله به يوم القيامة من سبع أرضين». (رواه البخاري ومسلم من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، تفسير ابن عثيمين).

«جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا» أي: من جنسكم وشكلكم. منة عليكم وتفضلًا جعل من جنسكم ذكرًا وأنثى.

«وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا» أي: وخلق لكم من الأنعام من جنسها إناثًا أو وخلق لكم من الأنعام أصنافًا من الذكور والإناث، وهي الثمانية التي ذكرها في الأنعام.

«يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ» أي: يخلقكم فيه، أي: في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذرؤكم فيه ذكورًا وإناثًا، خلقًا من بعد خلق وجيلًا بعد جيل، ونسلًا بعد نسل من الناس والأنعام- وقال البغوي: «يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ» أي: في الرحم، وقيل: في البطن. (تفسير ابن كثير).

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» الكاف هنا زائدة بمعنى أنها لو حذفت لاستقام الكلام، لو قيل: ليس مثله شيء يستقيم الكلام لا شك، لكن جاءت الكاف للتوكيد، كأنه نفي المثل مرتين: مرة عن طريق الكاف، ومرة عن طريق مثل. (تفسير ابن عثيمين).

واعلم أن هذه الآية نفت أن يكون شيئًا من الموجودات مثلًا لله تعالى والمثل يحمل عند إطلاقه على أكمل أفراده.

قال فخر الدين «المثلان: هما اللذان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقته وماهيته». اهـ.

لكن من حيث المعنى والاعتقاد نؤمن بأن الله تعالى «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ». (التحرير والتنوير). لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» في كل شيء يجب علينا أن نؤمن بهذا، فذاته مخالفة لجميع الذوات. (تفسير ابن عثيمين).

«وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» وهو السميع لأقوال عباده، البصير بأفعالهم، لا يفوته منها شيء وسيجازيهم على أعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر. (معاني المفردات مستفادة من- تفسير ابن عثيمين وتفسير ابن كثير- وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور- والمختصر في التفسير- بتصرف).

المعنى التفصيلي:

قال ابن القيم رحمه الله: في قوله تعالى:

«لَيسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ» فإنه سبحانه وتعالى ذكر ذلك بعد ذكر نعوت كماله وأوصافه فقال: «حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ» (الشورى: ١-٦). إلى قوله: «فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ» (الشورى: ١١).

فهذا الموصوف بهذه الصفات والنعوت والأفعال والعلو والعظمة والحفظ والعزة والحكمة والملك والحمد والمغفرة والرحمة والكلام والمشيئة والولاية وإحياء الموتى، والقدرة التامة الشاملة والحكم بين عباده وكونه فاطر السماوات والأرض وهو السميع البصير فهذا هو الذي ليس كمثله شيء لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله وثبوتها له على وجه الكمال الذي لا يماثله فيه شيء فالمثبت للصفات والعلو والكلام والأفعال وحقائق الأسماء هو الذي يصفه سبحانه وتعالى بأنه ليس كمثله شيء.

وقول الله تعالى: «لَيسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ»: إنما قصد به نفي أن يكون معه شريك أو معبود يستحق العبادة والتعظيم كما يفعله المشبهون والمشركون ولم يقصد به نفي صفات كماله وعلوه على خلقه وتكلمه بكتبه، وتكليمه لرسله ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم، كما ترى الشمس والقمر في الصحو. (بدائع التفسير لابن القيم ١١٠/٤).

فلا تتصور ذات الرب جل وعلا أبدًا، لأنك مهما تصورت على أي شيء تتصورها لا مثيل له، ولا نظير له، كذلك في صفاته ليس له مثيل، ليس له نظير في أية صفة من صفاته.

قوله تعالى: «وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير»: وسمع الله له معنيان:

المعنى الأول: الاستجابة، كقوله تعالى: «إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ» (إبراهيم: ٣٩)، معنى سميع: أي: مستجيبة واستجابته إياه تستلزم سماعه لا شك.

ومن ذلك أيضًا:- أي: من كون السماع بمعنى الاستجابة- قول المصلي: سمع الله لمن حمده، ومعنى سمع أنه استجاب له، لأن مجرد سماع الصوت لا يفيد شيئًا بالنسبة للداعي، ولهذا لو قال لك إنسان: يا فلان أرجو أن تساعدني تقول: أسمع يعني أسمع بأذني، فلا يستفيد من هذا، لأنه سيقول لك: إذا كنت تسمع فأعطني، فصار كل ما أضيف للدعاء من السمع معناه الاستجابة.

المعنى الثاني: إدراك المسموعات: بمعنى أنه لا يخفى على الله أي صوت قرب أم بعُد، خفي أم بان، فإن الله يسمع كل شيء، أرأيتم قوله تعالى: «قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ» (المجادلة: ١). الله في السماء على العرش، والمكان الذي كانت هذه المرأة تشتكي فيه في الأرض، تقول عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد كانت تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم وإني لفي الحجرة يخفى على بعض حديثها، وهي في الحجرة والله عز وجل لم يخف عليه شيء، سمع المجادلة وسمع التحاور وأنزل حل المشكلة».

إذن السمع بمعنى سمع الإدراك شامل لكل صوت، ثم هذا السمع إما أن يكون للتأييد أو للتهديد أو للإحاطة، ثلاثة أقسام.

الأول: التأييد: مثل قوله تبارك وتعالى لموسى وهارون: «قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ» (طه: ٤٦). لماذا قال الله عز وجل «أَسْمَعُ وَأَرَى» تأييدًا لهما يعني أسمع ما تقولان وما يقال لكما، والأمر أمره عز وجل، هذا سماع يراد به التأييد.

الثاني: ما يراد به التهديد: مثل قول الله

تبارك وتعالى: « أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ » (الزخرف: ٨٠)، ليس المراد بهذه الآية مجرد أن الله يخبر أنه يسمع سرهم ونجواهم، المراد بذلك التهديد، ونظير هذا قوله تعالى: « لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ » (آل عمران: ١٨١)؛ فهذا تهديد، بدليل قوله: « سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا » (آل عمران: ١٨١).

الثالث: الإحاطة: أن يخبر، مثل: «وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير» هذا إخبار بأنه تعالى محيط بكل شيء سمعًا، وكما في المجادلة فإن الله تعالى أخبر بذلك، ليعلمنا أنه محيط بها.

وقوله تعالى: «البَصِير» له معنيان: المعنى الأول: إدراك الشيء بالبصر، والثاني: العلم.

فهنا البصير تشمل المعنيين، فبصر الله تعالى محيط بكل شيء، لا يخفى عليه والدليل على أن البصير تتضمن البصر قوله في الحديث الصحيح: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». (رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري).

يعني لأحرقت كل شيء لأن بصر الله ينتهي إلى كل شيء، فالمعنى لأحرقت هذه السبحات- والسبحات هي البهاء والعظمة. بصير بمعنى عليم مثل قوله تعالى: «بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون» (الحجرات: ١٨)، ومعلوم أننا نعمل أشياء لا ترى، في قلوبنا أشياء لا ترى والله يعلمها، فإذن البصير من أسماء الله عز وجل أي: ذو البصر، وله معنيان:

الأول: بصير بمعنى إدراك المرئيات لبصره.

والثاني: بمعنى العلم. فإذا سمعت أسماء الله وصفاته فليس المقصود أن نعلم المعنى فقط، بل أن نتعبد لله بها، فإذا علمنا أنه سميع أوجب لنا أن نخاف من قول يغضب الله، لأن الله يسمع، وإذا علمنا أنه بصير أوجب لنا أن نحذر من كل فعل يغضب الله، لأن الله تعالى يبصره ويراه.

من فوائد الآية الكريمة:

١) أن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض ابتداءً على غير مثال سابق.

٢) تمام قدرة الله تبارك وتعالى لأن هذه السماوات العظيمة لا يقدر عليها أحد إلا الله، ثم إنه خلقها في ستة أيام، جاءت مفصلة في سورة فصلت.

٣) حكمة الله عز وجل ورحمته، حيث جعل لنا من أنفسنا أزواجًا، فإن هذا حكمة حيث كانت من أنفسنا، ورحمة حيث جعل لنا أزواجًا نتمتع بهن من جهة وننمو ونزداد من جهة أخرى.

٤) رحمة الله بنا حيث جعل لنا من الأنعام أزواجًا؛ لأن هذا لا شك من مصلحتنا.

٥) إثبات السمع والبصر وصفًا لله عز وجل؛ لأن السميع من السمع والبصير من البصر وهنا قاعدة نشير إليها: كل اسم من أسماء الله فإنه متضمن لشيئين:

الأول: إثبات كونه اسمًا.

والثاني: إثبات الصفة التي دل عليها.

فمن قال: إن الله سميع بلا سمع، فإنه لم يؤمن بالاسم، لأنه لا بد أن تؤمن بما دل عليه من صفة.

أيضًا إثبات أن هذه الصفة متعدية للغير، إذا كانت متعدية فمثلًا: السميع نؤمن بأن الله من أسمائه السميع، ومن صفاته السمع، ونؤمن بأمر زائد وهو أنه يسمع كل شيْ. وهكذا. (الفوائد مستفادة من تفسير ابن عثيمين بتصرف).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شهر جماد أول أحداث وتأريخ

إعداد أحمد عز الدين محمد

الحمد لله فاطر السماوات العلى ومنشئ الأرضين والثرى، والصلاة والسلام على عبده المجتبى ورسوله المرتضى وعلى آله وصبحه الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن شهر جماد الأولى حدثت فيه جملة من الغزوات والسرايا والوقائع الهامة التي ينبغي لعامة المسلمين التعرف عليها ودراستها وأخذ العبر والعظات منها.

أولا: غزوة العشيرة في جماد أول سنة ٢هـ:

والعشيرة مكان يقع في منطقة قرب ينبع حاليًا ويبعد مسافة كيلو مترين تقريبًا باتجاه الشرق، وفي أحداثها أن كفار قريش سلبوا وصادروا أموال المهاجرين من الصحابة، وأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعترض عيرًا لقريش، وهي قوافل تجارية تخرج إلى الشام والتي تمر بجوار المدينة؛ لاسترداد ولو جزء من مالهم المسلوب، وكذلك ضرب مكة في اقتصادها المالي والتجاري، وأيضًا تخويف قريش وأن المسلمين أصبح لهم قوة وشوكة فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه في هذه الغزوة قائدًا ومعه خمسون ومائة صحابيًا، ومعهم ثلاثون بعيرًا يركبونها بالتناوب، وكان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حاملًا للواء المسلمين، وكلهم كانوا من المهاجرين ولم يُكره النبي صلى الله عليه وسلم أحدًا على الخروج، وقد استخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه على المدينة، وذلك ليعترض أبا سفيان قائد القافلة المتوجهة إلى الشام، وعندما بلغ المسلمون موقع ذي العشيرة وجدوا العير قد أفلتت وسبقتهم بأيام ولم يجدوها، ورصدوها عند الرجوع وهي كانت سببًا مباشرًا لغزوة بدر الكبرى في رمضان سنة ٢هـ، وفيها وادع النبي صلى الله عليه وسلم بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة.

ثانيا: وفي جماد أولى سنة ٤هـ:

١) توفي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه، وهو كان أخا رسول

الله صلى الله عليه وسلم في الرضاعة.

٢) وأيضًا في نفس الشهر والسنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم يعني من رقية بنت رسول الله وهو ابن ست سنين.

ثالثًا: وفي جماد أول سنة ٦هـ كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص:

وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليال. وفيها بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيرًا لقريش قد أقبلت من الشام، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب، وكان فيها أبو العاص بن الربيع، وظفر المسلمون بهذه العير ومن فيها، وقدم زيد رضي الله عنه بأبي العاص، وبتلك العير إلى المدينة؛ فاستجار أبو العاص بزوجته زينب رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجارته ونادت في الناس حين صلوا الفجر فقالت: "أيها الناس! إني أجرتُ أبا العاص بن الربيع"، فقال لها عليه الصلاة والسلام: "يا بُنيَّة قد أجرنا من أجرت"، وأجابها على ردّ ما أخذ منه بعد أن خيَّر أصحابه في ذلك فردوا ما في أيديهم إكرامًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال لابنته زينب رضي الله عنه: "يا بنية! أكرمي مثواه ولا يخلص إليك؛ فإنك لا تحلين له"، وفي الصحيحين أنه قال: «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". صحيح البخاري.

وفي السيرة الحلبية أن المسلمين بالمدينة قالوا لأبي العاص: يا أبا العاص إنك في شرف من قريش وفي قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك أن تُسلم؟ فقال بئسما أمرتموني أفتتح ديني بالغدر وعدم الوفاء، ثم ذهب أبو العاص إلى أهل مكة فأدى إلى كل ذي حق حقه، ثم قال يا أهل مكة هل بقي لأحد منكم مال لم يأخذه؟، هل وفيت ذمتي؟ فقالوا له: نعم فجزاك الله خيرًا، فجزاك الله خيرًا». فقال: إني أشهد ألا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله. والله ما منعني عن الإسلام عنده إلا خشية أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم. ثم خرج من مكة حتى قدم المدينة، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه زينب على النكاح الأول، كما ذكر ذلك البخاري وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان والبيهقي وغيرهم؛ رحمهم الله تعالى.

رابعًا: غزوة مؤتة في جماد أول سنة ٨هـ:

وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى عظيم الروم بالشام، فتعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وكان عاملاً لقيصر على أرض البلقاء، وقال له لعلك من رسل محمد؟ قال نعم، فأوثقه ربطًا ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله رسول غيره ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه وجهز جيشًا من ثلاثة آلاف وبعثهم لمقاتلة الروم، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة وإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، على الناس. وفي رواية فإن أصيب ابن رواحة فليرتض المسلمون برجل منهم فليجعلوه عليهم.

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم مشيعًا لهم حتى بلغ ثنية الوداع وقال لهم: «أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرًا، اغزوا باسم الله، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرًا، ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناءً"، وقال لهم المسلمون وهم يودعونهم: "دفع الله عنكم وردكم غانمين"، فمضوا حتى نزلوا من أرض الشام، فبلغ الأمير زيد رضي الله عنه أن هرقل في مائة ألف من الروم وانضم إليهم مائة ألف من بني بكر ولخم وجذام، مائة ألف أخرى، فصار الروم في مائتي ألف أمام ثلاثة آلاف من المسلمين، وكادوا يطلبون مددًا؛ غير أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حثهم على القتال فقاتلوا، واستشهد الأمراء الثلاثة الواحد تلو الآخر عن آخرهم. ثم تولى الراية خالد بن الوليد رضي الله عنه، ففتح الله عليه. وفي هذا كفاية والحمد لله رب العالمين.

هذا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

صلاة المسافر

إعداد: د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: نواصل في هذا اللقاء الحديث عن أشهر الأقوال في المسافة التي تُقصر الصلاة في مثلها، وعن أدلة هذه الأقوال وأرجحها من حيث الدليل.

القول الثالث للظاهرية:

أن المسافة التي تُقصر الصلاة في مثلها ثلاثة أميال، وذهب ابن حزم من الظاهرية ومن وافقه إلي أن مقدار المسافة التي تُقصر الصلاة في مثلها ابتداءً من مسافة الميل، واستدلوا علي ذلك بأدلة منها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ - شك شعبة - صلى ركعتين. (رواه مسلم).

قال ابن حجر: هو أصح حديث ورد في بيان ذلك وأصرحه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "تُقصر الصلاة في مسيرة ثلاثة أميال" (أخرجه ابن أبي شيبة).

وقال الشيخ الألباني: "وقد صح عن ابن عمر جواز القصر في ثلاثة أميال، وهي فرسخ، فالأخذ بحديث أنس أولى لرفعه، وعمل بعض الصحابة به ...، وهذه الآثار أقرب إلى السنة".

وأجيب عليهم: بأنه مشكوك فيه فلا يُحتجَ به على التحديد بالثلاثة الأميال، نعم يُحتجَ به على التحديد بالثلاثة الفراسخ؛ إذ الأميال داخلة فيها، فيُؤخذ بالأكثر، وهو الاحتياط. (انظر: سبل السلام للصنعاني ٢/٣٩).

واحتج ابن حزم لقوله بقول الله عز وجل: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا) (النساء: ١٠١).

وقال عمر، وعائشة، وابن عباس رضى الله عنهما: ان الله تعالى فرض الصلاة على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في السفر ركعتين، ولم يخص الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا المسلمون بأجمعهم سفرًا من سفر، فليس لأحد أن يخصه إلا بنص أو إجماع متيقن، .. والسفر هو البروز عن محلَة الإقامة، وكذلك الضرب في الأرض، هذا الذي لا يقول أحد من أهل اللغة -التي بها خُوطبنا وبها نزل القرآن- سواه، فلا يجوز أن يخرج عن هذا الحكم إلا ما صح النص بإخراجه، ... فلم يجز لنا أن نوقع اسم سفر وحكم سفر إلا على مَن سماه مَن هو حجة في اللغة سفرًا، فلم نجد ذلك في أقل من ميل (انظر: المحلى: ٥/١٩).

واستشهد على صحة رأيه

المبني على دلالة اللغة بما ورد عن سفيان الثوري قال: سمعت جبلة بن سحيم يقول: سمعت ابن عمر يقول: "لو خرجت ميلاً قصرتُ الصلاة". أورده ابن حزم في المحلى: ٨/٥، وقال ابن حجر: إسناده صحيح (انظر: فتح الباري ٥٦٧/٢).

وقال ابن حزم في المحلى (٩/٥) بعد أن أورد روايات عن الصحابة والتابعين: "وبكل هذا نقول، وبه يقول أصحابنا في السفر إذا كان على ميل فصاعدًا في حج أو عمرة أو جهاد وفي الفطر في كل سفر". وقد حمله جملة من خالفه على أن المراد المسافة التي يبدأ منها القصر لا غاية السفر.

مناقشة رأي ابن حزم:

إن ابن حزم بحث المسألة بحثًا لغويًا، وبنى رأيه على دلالة اللغة، فذكر أن السفر لغةً هو البروز عن محلة الإقامة، وكذلك الضرب في الأرض، فأطلق السفر وجعل مطلق السفر يبيح القصر، ولكنه وقد قضى بما قضى به أحبَّ أن يستشهد بقول صحابي على صحة رأيه المبني على دلالة اللغة.

ولقد أخطأ ابن حزم خطأين اثنين: أولهما أنه بنى رأيه على دلالة اللغة، في حين أن هناك نصوصَ شرعيةً حددت مسافة القصر لم يأت على ذكرها. والثاني أنه استشهد، ولنقل استأنس بقول ابن عمر ولم يستدل به، وحتى لو استدل به فإنه يبقى مخطئًا، فهو لم يأخذ بقول ابن عمر، وإنما أخذ بدلالة اللغة، ثم أورد قول ابن عمر لأنه رآه يؤيد ما توصل إليه، هذا إضافة إلى أن ابن عمر قد رويت عنه أفعالٌ وأقوالٌ تعارض هذا القول المنسوبة إليه مما يجعلنا لا نطمئن إلى هذا الاستشهاد، ولا نقبل الاحتجاج به.

إن أقوال الصحابة إن تعارضت لم تقم بها حجة، وإن أقوال الصحابي الواحد إن تعارضت اعتبرت لا قيمة لها، ولم يصح الاستدلال ولا الاستشهاد بها، وقد جاءت أقوال الصحابة في مسألتنا هذه متعارضةً ومختلفةً كثيرًا، مما يدعونا إلى طرحها كلها، وعدم الاحتجاج بها مطلقًا.

القول الرابع:

وهو قول بعض أهل العلم: كابن قدامة وابن تيمية وابن القيم من الحنابلة، ومن وافقهم: أن مقدار المسافة التي تقصر الصلاة في مثلها المرجع فيه إلى العرف. واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

إطلاق السفر في كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء: ١٠١)؛ فظاهر القرآن إباحة القصر لمن ضرب في الأرض، وقد سقط شرط الخوف بالخبر المذكور عن يعلى بن أمية، فبقي ظاهر الآية متناولاً كل ضرب في الأرض. (انظر: المغني لابن قدامة ٩١/٢).

وجه الدلالة: أن مقدار المسافة التي تقصر الصلاة يحتاج إلى توقيف، وليس لما صار إليه المحددون حجة، وأقوال الصحابة متعارضة مختلفة، ولا حجة فيها مع الاختلاف، ولأن التقدير مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ولظاهر القرآن، ولأن التقدير بابه التوقيف فلا يجوز المصير إليه برأي مجرد، والحجة مع من أباح القصر لكل مسافر إلا أن ينعقد الإجماع على خلافه». (انظر: المغني لابن قدامة ٩١/٢).

وإذا كان لم يروَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم تقييد السفر بالمسافة، وليس هناك حقيقة لغوية تقيده كان المرجع فيه إلى العرف... فالصحيح أنه لا حد للمسافة، وإنما يرجع في ذلك إلى العرف. (انظر: الشرح الممتع محمد بن صالح العثيمين ٣٥٢/٤).

واحتجوا كذلك بصلاة أهل مكة خلف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة ومزدلفة وبين مكة وعرفة نحو بريد: أربعة فراسخ.

قال ابن تيمية: لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُوقت للقصر مسافة ولا وقتًا، وقد قصر خلفه أهل مكة بعرفة ومزدلفة، وهذا قول كثير من السلف والخلف وهو أصح الأقوال في الدليل. ولكن لا بد أن

يكون ذلك مما يُعد في العرف سفرًا. مثل أن يتزود له ويبرز للصحراء (مجموع الفتاوى ١٥/٢٤).

وأجيب عنهم بأن هذا القصر كان ذلك لأجل النسك وجمعهم جمع نسك، ومن هنا جمع أهل مكة في عرفات وجمعوا عشية مزدلفة ولم يجمعوا بمنى؛ لأن هناك مقصود للنسك، وفي يوم عرفة يراد به التفرغ للدعاء، وفي المشعر أن ينام مبكرًا، ثم بعد ذلك يتفرغ للدعاء في المشهد لكنه للنسك، وعلى هذا فإنه لا بد من مسافة السفر فإذا قطع مسافة سفر فهو مسافر، وإن كان دونها فليس بمسافر. (انظر: دروس عمدة الفقه للشنقيطي).

وردوا على ذلك: بأنهم قصروا لأجل سفرهم؛ ولهذا لم يكونوا يقصرون بمكة وكانوا مُحرمين، والقصر معلق بالسفر وجودًا وعدمًا.

وقد رجّح ابن تيمية في قول آخر رواية القصر في بريد أو أدنى، قال: (أنه ليس تحديد من حد المسافة بثلاثة أيام بأولى ممن حدها بيومين، ولا اليومان بأولى من يوم. فوجب أن لا يكون لها حد، بل ما يسمى سفرًا يُشرع فيه ذلك. وقد ثبت بالسنة القصر في مسافة، فعلم أن الأسفار ما قد يكون بريدًا، وأدنى ما يسمى سفرًا في كلام الشارع) (مجموع الفتاوى ٤٨/٢٤).

مناقشة أدلة هذا القول:

١- قولهم: "إذا كان لم يرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم تقييد السفر بالمسافة، وليس هناك حقيقة لغوية تقيده كان المرجع فيه إلى العرف"، ولأن التقدير بابه التوقيف، فلا يجوز المصير إليه برأي مجرد، وإن كان من حيث أصله كلام صحيح؛ إلا أنه لا ينطبق علي هذه المسألة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل مطلق خروجه من المدينة سفرًا، وقد بعث الصحابة في بعض الأماكن ولم يأمر بقصر الصلاة، ولم يُجر عليهم أحكام السفر والعلماء رحمهم الله لما قالوا إنه لا بد من مسافة للسفر فهذا شيء باستقراء الشرع.

٢- قولهم "إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُوقت للقصر مسافة ولا وقتًا": غير صحيح ويرده ما ورد في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ -شك شعبة- صلى ركعتين. وقد قال عنه ابن حجر العسقلاني وهو من كبار أئمة الحديث: هو أصح حديث ورد في بيان ذلك وأصرحه.

وبعد عرض أدلة الأقوال المشهورة في المسألة ومناقشتها يتبين لنا أن أكثرها لم يسلم من النقد وأن أصح ما ورد في هذا وأصرحه كما قال ابن حجر ما ورد عن يحيى بن يزيد الهنائي قال: سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال، أو ثلاثة فراسخ -شُعبةُ الشاكُ- صلى ركعتين، (رواه مسلم).

وقد جاء هذا الحديث فيصل في هذه المسألة، فهو لم يذكر حادثة عين واحدة، وإنما نص على ديمومة هذا الفعل بدلالة قول الحديث (إذا خرج)، وهو تشريع صريح بأن الرسول صلى الله عليه وسلم شرع للمسلمين القصر إن هم سافروا ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ. والشك هذا من الراوي شعبة، فمن سافر من المسلمين ثلاثة أميال، أو سافر منهم ثلاثة فراسخ جاز له القصر. وحيث أن الفرسخ ثلاثة أميال، فيكون معنى الحديث أن من سافر ثلاثة أميال أو سافر تسعة أميال، قصر الصلاة. فتصبح عندنا أقوال محتملة في هذه المسألة: ثلاثة أميال، وتسعة أميال، ونحن نأخذ بالأكثر منها احتياطا وهو تسعة أميال، وتبلغ حوالي سبعة عشر كيلو مترا. فهذه هي المسافة التي قدرها الحديث النبوي الصحيح، فينبغي الأخذ بها والالتزام بها، ورد جميع الأقوال المتعارضة والمخالفة لهذا التقدير الشرعي.

ومع هذا نقول: إن هذه المسألة من المسائل التي يسع فيها الخلاف، ولا ينبغي فيها الإنكار على المخالف، خاصة وأنها من أكثر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل العلم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

جمعية أنصار السنة المحمدية

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

www.magalet-eltawheed.com

موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة . عابدين ت: ٢٩٣٦٥١٧ - ٢٩١٥٤٥٦

مفاجأة

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

التوحيد
مجلة
إسلامية
ثقافية
شهرية

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513